قصة مجنون ليلى في الأدبين العربي والفارسي

د دلال عبّاس

منذ أن أبدع شكسبير رائعته الخالدة "روميو وجولييت" والعالم العربي يكرر القول أن لا مثيل لهذه القصة المحزنة في مختلف أنحاء الدنيا. صحيح أن الشرقيين لم يتعرفوا إلى هذه القصة قبل القرن التاسع عشر، لكنهم عرفوا منذ زمن بعيد قصة "ليلى والمجنون" التي ألهمت ولا تزال العديد من الشعراء والكتاب والمسرحيين والموسيقيين في مختلف أنحاء الشرق. وما من شكّ في أنّ شهرة ليلى والمجنون في الشرق تفوق شهرة روميو وجولييت في الغرب[1] .

إنّ نداء "يا ليل" الذي يتردد صداه صبح مساء في جميع الأقطار العربية لا يعبر عن المعنى اللغوي للفظة "الليل" فقط، وإنما يذكّر "بليلى"، حبيبة المجنون الخالدة...

إنّ قصة مجنون ليلى،على الرغم من تشكيك الباحثين والمحققين العرب في معظمهم بالوجود الواقعي لأبطالها، واعتقادهم أنها موضوعة كغيرها من القصص الخرافي، إلا أنها قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التراث الأدبي العربي، ويبقى أن نبحث عن جذورها، وعن الدوافع التي أدت إلى وضعها، إن كانت موضوعة فعلاً كليّاً أو جزئياً. فموضوع الوضع في الأدب العربي موضوع شائك ويحتاج إلى الكثير من التحقيق وبعض الأناة، لأنه طال التراث برمّته، و لم يسلم منه حتى الحديث النبوي الشريف وشعر الإسلاميين الأوائل بمجملهم.

إنّ البحث حول قصة مجنون ليلى يقودنا إلى المصادر الأولى وبخاصة كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني الذي كان السبّاق بين مؤرخي الأدب إلى ذكر مصادره وتسمية الذين روَوْا أخبار الشعراء الذين دوّن شعرهم، ومن بينهم مجنون ليلى، وجاء المستشرق الروسي كراتشكوفسكي

[1]– كراتشكوفسكي. ليلى والمجنون. ترجمة احمد كامل نجاد، طهران، دار زوار، ط3، 1378ش (1999م). ص23

(1883-1951)، بما عرف عنه من تدقيق وطول أناة في بحوثه، فدرس مصادر "الأغاني" وقارن بين الروايات ليميز الغثَ من الثمين فيها، وليرجحّ وجود المجنون واقعياً على الرغم من الروايات التي نُسجت حوله.

اللافت بالنسبة إلى هذه القصة أن الرحالة الإيراني ناصر خسرو في أواسط القرن الحادي عشر الهجري، ذكر أن بعض أبناء بادية الحجاز، قرب الطائف، قد دلّوه على خرائب قلعة، قالوا إنها كانت مسكن ليلى حبيبة المجنون، ويضيف ناصر خسرو "إن قصة ليلى والمجنون قصة عجيبة للغاية"[2] .

كراتشكوفسكي نفسه يقول: "إنّ المسافر في الصحراء السورية في عصرنا هذا (المقصود الربع الأول من القرن العشرين)، لا بد أن يسمع من القبائل البدوية قصة الأمير قيس بن الملوح العامرى- الذي جنّ بحبّ ليلى، ومات في الفلوات صريع حبها[3].

وبين أيدينا الآن، منظومة شعرية من آلاف الأبيات. بالفارسية للنظامي الكَنجوي (وفاته بين عامي 530 و614 هـــ.ق)، وأخرى بالتركية للشاعر النوائي (الأمير علي مشير النوائي الجغتائي الملقب بنظام الدين، وفاته بين عامي 844 و906هـــ.ق). ومسرحية أحمد شوقي الرائعة مجنون ليلى، التي تجمع بين القيسين (قيس بن الملوح وقيس بن ذريح) في شخصية واحدة.

المصادر الرئيسية لقصة ليلى والمجنون:

لعلّ تاريخ المرحلة الأولى من قصة مجنون ليلى أكثر تعقيداً من المراحل اللاحقة كلها، لأن موادها متفرقة ومضطربة، وقد ظهر القسم الرئيسي منها الذي تتكون منه النواة الرئيسية للقصة في منتصف القرن العاشر الميلادي.

---

[2]- رحلة ناصر خسرو، ط. موسكو، 1933 ص173.

[3]- كراتشكوفسكي. م. س. ص24.

إن المصادر الأساسية للقصة هي من الدرجة الأولى كتب تاريخ الأدب وبخاصة "الشعر والشعراء" لابن قتيبة (توفي في العام 276هـ/891م)، ورسائل الجاحظ وكتاباه البيان والتبيين والحيوان، وكتاب "الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (توفي في العام 356هـ/967م). وعلى الرغم من المدة الزمنية التي تفصل بين تأليف "الشعر والشعراء" و"الأغاني"، إلا أن الأول يبدو قليل الأهمية مقارنة بالثاني، فابن قتيبة أورد الكثير من المعلومات دون أن يذكر مصادرها، في حين أننا نعثر على هذه المصادر نفسها في كتاب "الأغاني"، مع الفرق أن الأصفهاني ذكر أسماء جميع الرواة وميّز بين المصادر المكتوبة والمصادر الشفوية، ولولا كتاب الأغاني لما تمكن الباحث من إعطاء رأي حاسم حول تاريخ مجنون ليلى قبل القرن العاشر.

المقصود أن "الشعر والشعراء" على الرغم من قدمه يأتي في المرتبة الثانية بعد "الأغاني".

هنالك مجموعة أخرى من المصادر العربية إلى جانب "الأغاني" تحظى بأهمية نسبية، من بيتها يقع في المرتبة الأولى، كتاب الزهرة[4] لداود الظاهري (توفي في العام 297هـ/909م)، وهو ابن مؤسس المذهب الظاهري. إن المعلومات عن المجنون في هذا الكتاب قليلة ولكنها تحظى بأهمية خاصة، لأن هذا الكتاب يتضمن عدداً كبيراً من الأشعار المنسوبة إلى المجنون جمعت قبل وقت طويل من تأليف كتاب "الأغاني".

فضلاً عن هذا الكتاب هنالك سلسلة من الكتب في تاريخ العشاق، تبدأ بالكتاب المعروف "مصارع العشاق"[5] لابن سراج المتوفى في العام (418هـ/1106م) مصادر ابن سراج هي نفسها تقريباً مصادر الأغاني، مع ذلك في هذا الكتاب معلومات لم ترد في كتاب الأغاني.

---

[4]- كتاب الزهرة لابن داود الظاهرى، نيكل، المطبعة اليسوعية- بيروت، 1932م.

[5]- مصادر العشاق، تحقيق بارت، ط. اسطنبول. 1301هـ (1882م).

يأتي بعد ذلك كتاب الطبيب والأدبي الأعمى داود الأنطاكي المتوفى في العام (1005هـ/1596م)[6] وتأتي بعده سلسة من الكتب بعضها في العشق العرفاني، حيث يُعدّ المجنون أحد العشاق الصوفيين حتى إن بعض المؤلفين نسبوا إليه بعض الأشعار العرفانية، وقد عدّه ابن الفارض نفسه من بين هؤلاء.

" حكاية قصة المجنون" أثر أبي بكر الوالبي، هي قصة حياة المجنون المشهورة، التي أعيد طبعها أكثر من خمس عشرة مرة[7] .

وبفضل هذا الكتاب اشتهرت قصة المجنون ليس فقط في الأقطار العربية وإنما أيضاً في الأقطار الفارسية اللغة. لكن قيمة هذا الكتاب الواقعية لا تتناسب مع شهرته... يشير الوالبي أكثر من مرة إلى مراجعته لكتاب الأغاني، ويبدو أنه لم يعش قبل القرن الحادي عشر كما يرجح السمعاني (562هـ/1167م) في كتاب الأنساب[8] . هذا الكتاب لا يساعد في توضيح سيرة المجنون، وإنما يزيد الإبهام والحيرة، وهو يعيد تاريخ حياته إلى العصر العباسي والأشعار التي يوردها مضطربة، وفيها الكثير من التصنّع والاضطراب[9] .

عدا كتاب الوالبي، هنالك كتابان حول حياة المجنون أحدهما ليوسف بن الحسن المبرّدي الحنبلي (909هـ/1503م)، أحد نسابي القرن الخامس عشر، اسم هذا الكتاب "نزهة المسامر في ذكر بعض أخبار مجنون بني عامر" وهي نسخة فريدة وناقصة، يوجد منها نسخة خطية في مكتبة غوتا كما يقول كراتشكوفسكي[10] .

---

[6]- "تزيين الأسواق بيفصيل أشواق العشاق" القاهرة، 1319هـ (1900م).

[7]- قصة المجنون لأبي بكر الوالبي، القاهرة- 1922م.

[8]- كراتشكوفسكي. م. س. ص 33.

[9]- نفسه ص35.

[10]- نفسه ص35.

وهنالك قصة حياة أخرى فقد منها اسم المؤلف وتاريخ التأليف، وتتضمن شرح احوال ثلاثة من العشاق الأفلاطونيين هم جميل والقيسان أي قيس بن الملوح (المجنون) وقيس بن ذريح، والعنوان المسجع للكتاب "أحسن ما يميل من أخبار القيسيين وجميل" يوحي بأن هذا الكتاب يعود إلى عصر الانحطاط الأدبي[11] .

شخصية المجنون في المصادر العربية:

يقول أبو الفرج إنّ اسمه قيس وقيل: مهدي والصحيح انه قيسُ بن الملوح بن عدس بن ربيعة... بن عامر بن صعصعة. والدليل على أن اسمه قيس قول ليلى صاحبته:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرةٌ متى رحل قيسٍ مستقلُ فراجع[12]

وروى أبو الفرج عن الأصمعي قوله[13] : إنه لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لوثه كلوثة أبي حبّة النميري[14]، وكذلك قوله: رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القِرّية وإنما وضعهما الرواة[15] .

وروى عن ابن عباية قوله: سألت بني عامر بطنا بطنا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحداً يعرفه، وعن ابن دأب (المتوفى في أوائل العصر العباسي 171هـ/787م) قوله: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون وتروي من شعره شيئاً؟ قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين! إنهم لكثير! فقلت ليس هؤلاء أعنى، إنما أعنى مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق، فقال:

---

[11]- نفسه ص35.

[12]- الأغاني، ط دار الكتب المصرية ج2 ص1.

[13]- م. ن. ص2.

[14]- ترجمته في الأغاني الجزء الخامس عشر.

[15]- الأغاني ج2 ص3.

هيهات! بنو عامر أغلظ أكبادً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبُها،السّخيفةِ عقولها، الصعلةِ (الصغيرة) رؤوسها، فأما نزار فلا[16] .

في كلام هذا الشخص العامري صورة عن التنافس بين القبائل الشمالية والجنوبية في جزيرة العرب، حتى في مثل هذه القضايا.

هذه الرواية نفسها نقلت أيضاً عن أبي أيوب المديني المتبحّر في تاريخ المغنّين.

ويروي أبو الفرج كذلك عن ابن الاعرابي (المتوفي في العام 231هـ/844م) أنه ذكر عن جماعة من بني عامر أنهم سئلوا عن المجنون فلم يعرفوه وذكروا أن هذا الشعر كله موّلد عليه"[17] ، حتى أن البعض ذكر مصدر هذا الشعر، فأيوب بن عباية يقول: "إن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف ذلك الشعر فحمله الناس وزادوا عليه"[18]، وقال كذلك إن المجنون لا حقيقة له ولا سمع به[19].

ويقول عوانه بن الحكم الكلبي العالم الذي كان يعيش في القرن الثامن (المتوفي في العام 147هـ/764م)[20]: "المجنون اسم مستعار لا حقيقة له، وليس له في بني عامر اسم ولا نسب"، وحين سئل من قال هذه الأشعار؟ قال: "فتى من بني أمية"[21].

أما هشام الكلبي المؤرخ المشهور الذي كان يعيش في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع (المتوفي في العام 204هـ/819م)[22]، فيتبنى هذه الفكرة ويقول: "حُدّثت أن حديثَ المجنون وشعره

---

[16]– م. ن. ص2 و3.

[17]– م. ن. ص9.

[18]– م. ن. ص8

[19]– م.ن. ص 10.

[20]– كراتشكوفسكى ص 39 نقلاً عن ياقوت ص8.

[21]– الأغاني، ج2 ص8.

[22]– كراتشكوفسكي. م. س. ص39 نقلاً عن برو كلمان ص 139.

وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عمّ له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسبها إليه"[23]. أما الأصمعي اللغوي المشهور (213هـ/828م)، معاصر ابن الكلبي، الذي عاش مدّة في البادية فيقول: "رجلان ما عُرفا في الدنيا قطّ إلا بالاسم: مجنون بني عامر وابن القرية وإنما وضعهما الرواة[24].

وأما عوانه المذكور من قبل فقد أضاف إلى هذين الاسمين اسماً ثالثاً يقول: "ثلاثة لم يكونوا قطّ ولا عُرفوا: ابن أبي العَقِب صاحبْ قصيدة الملاحم، وابن القريّة ومجنون بني عامر"[25].

وأما الجاحظ (أواسط القرن التاسع الميلادي) فيقول: "ما ترك الناس شعراً مجهولَ القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعراً هذا سبيله قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيسٍ بنِ ذريح"[26].

هذه مجموعة الآراء الأساسية التي ظهرت حول المجنون في المرحلة الأولى التي تشكلت فيها القصة، وهذه الآراء تنفي وجود المجنون وتشكك بصحة الشعر المنسوب إليه... لكنّ قبول هذه الآراء دون تحقيق أمر غير جائز كما فعل الأصفهاني نفسه الذي يقول: "وأنا أذكر مما وقع إليّ من أخباره جملاً مستحسنة، متبرئاً من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره، ينسبها بعض الرواة إلى غيره وينسبها من حُكيت عنه إليه، وإذا قدّمت هذه الشريطة برِئتُ من عيبِ طاعنٍ ومتتّبع للعيوب. وقد أخبرني بخبره في شغفه بليلى مجموعة من الرواة، ونسختُ ما لم أسمعْهُ من الروايات، وجمعت ذلك في سياقةِ خبره ما اتسق و لم يختلف، فإذا اختلف نسبتُ كلّ روايةٍ إلى راويها"[27] .

---

[23]– الأغاني م.س. ص4.

[24]– م.ن. ص3

[25]– م.ن. ص9

[26]– م.ن. ص8.

[27]– م.ن. ص9

ونلاحظ أن الآراء التي تؤكد وجود المجنون تعادل الآراء التي تنفي وجوده، فالأصمعي نفسه الذي ذكرنا أنه قال إنّ المجنون كابن القِرِيّةِ لم يُعرف قط، هو نفسه قال عنه: "أنه لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لوثة كابن حيّة النميري"[28] ويقول في مكان آخر "إنه ليس مجنوناً"، بل كانت به لوثة أحدثها العشق فيه، كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى، وإن اسمه قيس بن معاذ[29]، ويورد بالتفصيل كيف أنه سأل إعرابيا من بني عامر عن المجنون، فأجابه أنهم كثر، وروى له الإعرابيّ أشعاراً لثلاثة منهم... ثم قال له حين طلب إليه المزيد، حسبُك! فو الله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم[30]، ويقول في مكان آخر "الذي ألقيَ على المجنون من الشعر وأضيف إليه أكثر مما قاله هو؟[31] .

إذا يتبين من هذه الملاحظات التي ذكرها "الأصمعي" أنّ نفي نسبة الشعر إلى المجنون لا ينفي وجوده، وهذا مغايرٌ لما ورد في كلامه من قبل.

الأمر نفسه نلاحظه في كلام "ابن دأب" الذي نقل عن واحد من العامريين أن بني عامر لا يعرفون المجنون، روى عن عامريّ آخر قوله: "إن ليلى كانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهنّ أدباً وأملحهنّ شكلاً، وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء... إلى آخر الرواية"[32] .

---

[28]– م.ن. ص 2.

[29]– م.ن ص4.

[30]– الأغاني. م. س. ص7.

[31]– م.ن. ص10

[32]– م.ن. ص44.

هذه الازدواجية موجودة أيضاً لدى "ابن الكلبي"، الذي كان قد نسب قصة المجنون إلى شاب من بني أمية، هو نفسه يقول في مكان آخر، إنّ اسم المجنون قيس بن الملوح وإنّ أباه مات قبل أن يصاب بالجنون، وأنه عقر على قبره ناقته وأنشد شعراً[33].

ونجد هذه الازدواجية كذلك لدى عالم آخر هو أبو عَمرو الشيباني (المتوفى في حدود العام 205-213هـ/820-828م)، مستنداً إلى قول أحد اليمنيين، أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح[34]. وأن أحد الشاميين قال له إنه دخلَ أرض بني عامر وسأل عن المجنون الذي قتله الحبّ فخبرّوه أنه كان عاشقاً لفتاة منهم يقال لها ليلى، رَبَا معها ثم حجبت عنه، فاشتدّ عليه ذلك وذهب عقله[35].

أما المدايني (234هـ/849م) الذي يعدّ من مصادر الطبري[36] ، فيقول: إن المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيسُ بنُ معاذ من بني عامر[37] ...، وقال عنه إنه لم يكن مجنوناً وإنما قيل له المجنون بقوله:

وإني لمجنون بليلى موكّلٌ ولست عزوفاً عن هواها ولا جَلدا

إذا ذُكِرتْ ليلى بكيت صَبابة لتذكارها حتى يَبُلّ البُكا الخدّا[38]

أما ابن سلام الجمحي: (231هـ/845م) وهو من أوائل الذين ألفوا كتاباً عن "طبقات الشعراء" فيؤكد أن المجنون لم يكن مجنوناً بالمعنى الحقيقي للكلمة[39]، يقول لو حَلفتُ أن مجنون بني عامر لم يكن مجنوناً لصدقت، ولكن تولّه لما زُوّجت ليلى وأيقن اليأس منها ألم تسمع إلى قوله:

---

[33]- م.ن. ص5

[34]- م.ن. ص4

[35]- م.ن. ص4

[36]- كراتشكوفسكي ص 43.

[37]- الاغاني. م.س. ص3

[38]- م.ن. ص37.

أيا ويحَ من أمسى تُخُلس عقله فأصبح مذهوباً به كلّ مذهبِ

خليّاً من الخلان إلا مُجاملاً يُساعدُني من كان يهوى تجنُّبي

إذا ذُكرَت ليلى عَقَلتُ وراجعت عوازبُ قلبي من هوى متشعّبِ[40]

المسعودي في تاريخه أورد أيضاً قصة عن المجنون[41]. كذلك روى أبو الفرج عن الحزامي قوله إن أحد معاصريه وهو من أحفاد "ابن نوفل بن مساحق" الذي ورد اسمه في قصة المجنون قال: "سعيت على بني عامر فرأيت المجنون وأتِيتُ به، وأنشدني"[42].

من المناسب أيضاً في هذا السياق أن نتعرّف إلى موقف منافسي بني عامر في العشق الأفلاطوني: أي عشاق بني عذرة المشهورين فقد روى أبو الفرج عن الزُهري قوله: "أتاني رجلٌ من عذرة لحاجة، فجرى ذكر العشق والعشاق، فقلتُ له: أنتم أرقّ قلوباً أم بنو عامر؟ قال: إنّا لأرقُ الناس قلوباً، ولكن غلبتْنا بنو عامر بمجنونها[43].

هذه الروايات ترجّح إمكانية وجود المجنون. من بين جميع الذين روى عنهم أبو الفرج، لم ينكر وجود المجنون إنكاراً مطلقاً سوى اثنين هما أيوب بن عَباية وعَوانة بن الحكم، أما عَوانة بن الحكم اللغوي الأعمى، فقد عاش في أوائل حكم العباسيين (147هـ.ق/764م)، وهو أحد علماء الكوفة ومرجع في تاريخ الفتوحات والشعر العربي، وهو أحد مصادر الهيثم بن عدي والمدائني والأصمعي. لكن في حياته صفتان أساسيتان يمكن أن تلقي ضوءاً على موقفه من المجنون: أولها أنه كان يروي

---

[39]– كراتشكوفسكي. م.س. ص 34.

[40]– الأغاني ج2 ص38.

[41]– المسعودي مروج الذهب ج2 ص 355–360.

[42]– الاغاني ج2 ص34.

[43]– نفسه ص 34.

الشعر دون أن يهتم بالتحقيق في مصادره، وكان يذكر أنه يكره التحقيق[44]، أما الصفة الثانية التي لا تقلّ أهمية عن الأولى فهي أنّ عوانة كان عثماني الهوى كما يذكر ابن المعتز، ويؤيد هذا الرأي ما جاء في كتاب الفهرست لاين النديم من أنه "راوى حياة معاوية وبني أمية"[45]. لذلك نرجّح أن له سهماً في وضع قصة الفتى الأموي العاشق[46] .

اللافت أيضاً أن الشخص الآخر الذي أنكر وجود المجنون أي "ابن عباية"، هو الذي جمع أشعار الأمويين، وهو نفسه يعترف انه نحل الشعر لذلك الفتى الأموي، فقد نقل أبو الفرج عن أيوب بن عَبَاية قوله: إن فتى من بني مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر وينسبه إلى المجنون، وأنه عمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر، فحمله الناس وزادوا عليه[47] .

وعلى هذا النحو نلاحظ أن مبدأ هذه القصة يعود إلى العهد الأموي، وتشكلت في المحافل القريبة من دمشق، بعد مدة قصيرة من حياة المجنون. ولاحظنا أن أحد الرواة نفى وجود المجنون، لكنّ رأيه لا يعدّ حاسماً في هذا الموضوع.

إنّ مما لا ريب فيه أنّ العلماء العرب السابقين لم يقدموا رأياً موحداً حول وجود المجنون، ومراحل حياته، لذلك من الممكن التعرف إلى مراحل حياته من خلال دراسة هذه الأقوال وتحليلها وكذلك الأشعار المنسوبة إليه، والتعرف كذلك إلى المحيط الذي عاش فيه- من خلال الإشارات المتوافرة-

---

[44]- كراتشكوفسكي ص 46 نقلاً عن ياقوت، م4 ص94.

[45]- نفسه ص46 نقلاً عن الفهرست ص91.

[46]- نفسه ص . ن.

[47]- نفسه ص8.

فضلاً عن التعارض والاختلاف في المصادر العربية، نلاحظ الاختلاف أيضاً في أجزاء القصة المرويّة أيضاً، فبالنسبة إلى اسمه على الرغم من تواتر تسميته باسم قيس بن الملوح[48]، ورد أنه سمى: مهدى[49]، كذلك وقع الاختلاف في اسم أبيه، فقد قيل إنه ابن معاذ[50]، وقيل الأقرع، والبحتري بن جعد[51]، وعلى الرغم من اختلاف الأسماء (أربعة للمجنون وثلاثة لأبيه) إلا أنها تعود كلها إلى مجنون بني عامر المشهور. لكن في قبيلته نفسها ذكر مجنونان آخران هما "مزاحم بن الحارث العقيلي"[52] منافس المجنون في عشق ليلى، والآخر معاذ بن كليب[53] الأقل شهرة. والأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فبين قبائل الجزيرة العربية الأخرى هنالك شعراء اشتُهروا بلقب المجنون كالمجنون الشريدي والمجنون القُشيري والمجنون التيمي[54] . أكثر من ذلك هنالك شخص آخر اشتُهر بابن الملوح هو زيد بن الملوّح الحارثي[55].

إطار القصة زمانياً وجغرافياً:

اللافت أنه على الرغم من اختلاف الروايات هنالك شبه اتفاق بين المؤرخين واللغويين على ذكر تاريخ وفاة المجنون، أقرب هذه التواريخ إلى الواقع ما يقع منها بين عامي 65و80 هـ/684-699م، أول من ذكر تاريخ وفاة المجنون هو المؤرخ المصري أبو المحاسن وحدّد العام 68هـ/687-288م، تاريخاً لوفاته، ووافقه على ذلك ووستنفلد ناشر "معجم البلدان" لياقوت[56]، أما "الكتبي"

---

[48]- الأغاني ج2، ص1و4و5و7و31.

[49]- نفسه ص1و4و5و7.

[50]- نفسه ص1و4.

[51]- نفسه ص5.

[52]- نفسه ص6.

[53]- نفسه ص7.

[54]- كراتشكوفسكي ص49 نقلاً عن الآمري ص189-190.

[55]- نفسه ص ن.

[56]- كراتشكوفسكي ج2 ص113 وج5 ص92و93.

و"العيني" فرجّحا العام 70هـ (689-690م)، وهذا هو التاريخ نفسه الذي أورده بروكلمان[57]، وعبد القادر البغدادي ذكر أن المجنون عاش في أثناء ثورة عبد الله بن الزبير في مكة (من 61هـ إلى 72هـ (680 إلى 692م)... على الخليفة عبد الملك بن مروان (حكم من 65 إلى 86هـ/685-705م). وإحدى الروايات المتعلقة بالمجنون أشارت إلى وفاته[58]. كما ورد في بعض هذه الروايات أكثر من مرة أنّ عامل الخليفة على الخراج التقى في أثناء تجواله بين القبائل بالمجنون وتوسّط له لدى أهل ليلى ليزوجوه ابنتهم دون جدوى، وذكر لهذا العامل اسم شخصيتين تاريخيتين معروفتين، الأول أحد أبناء عبد الرحمن بن عوف الصحابي الذي توفي في العام 652هـ، والذي ذكرت المصادر أنه كان شخصية نافذة في عهد عبد الملك لأن ابنه كان كاتب الديوان في المدينة[59] ، أما الآخر فهو نوفل بن مُساحق العامري الذي يذكر الطبري أنه كان قاضي المدينة، وعزله عبد الملك من منصبه في العام 83هـ/702م[60]، كما ذكر أنه كان عاملاً على الصدقات في المدينة[61]، وأنه كان محبّاً للشعر. حتى أنه سئل في المسجد عن شعر عمر بن أبي ربيعه[62].

نستنتج من المعلومات المتعلقة بالشخصيتين أن المجنون الذي التقى به هذان الشخصان، أو أحدهما كان يعيش في أواخر القرن السابع الميلادي وأنه توفي في حدود العام 80هـ (700م)، أو على الأقل يجب أن يكون قد عاش في هذه المرحلة...

الحقيقة التي لاشك فيها أن المجنون ينتسب إلى قبيلة بني عامر الذين يعود نسبهم إلى صعصعة، وهذه القبيلة من بطون "هوازن" وهوازن مجموعة من القبائل التي كانت تعيش في شمال جزيرة

---

[57]- م.ن ص52.

[58]- م.ن ص ن نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية م1 ص34.

[59]- كراتشكوفسكي. م.س ص54 نقلاً عن الأغاني ط بيروت 1868 ص66.

[60]- نفسه ص54 نقلاً عن العقد الفريد ج2 ص207-208.

[61]- نفسه ص55 نقلاً عن الطبري ج2 ص1085.

[62]- الأغاني ج2 ص113 وج5 ص92و93.

العرب[63] ، كان المكان الذي يعيش فيه العامريون ويترحلون أرضاً واسعة تمتد من الحجاز إلى نجد، علماً أن بعض الروايات تقول إن زوج ليلى كان من أهل الطائف. وقد أشار النسّابون العرب إلى الأراضي الواسعة التي كان يتحرك فيها العامريون، وسّموا من بينها "الضرِيّة" أو "حمى الضريّة"[64] التي ورد اسمها في قصة المجنون، فقد روى أبو الفرج عن نوفل ابنُ مساحق أنه قال: "أخبرت عن المجنون أنّ سبب توحشه أنه كان يوماً بضريّة جالساً وحده إذ ناداه منادٍ من الجبل:

كلانا يا أخيَّ يحب ليلى بفيَّ وفيك من ليلى الترابُ[65]...

واللافت أنّ ياقوت في معجمه قد ذكر أن هذه الأرض كانت خاضعة لإمرة عامل المدينة[66]، وهذا ما يوضّح سبب تواجد عامل المدينة في هذه الناحية. التطابق بين الوضع الجغرافي لهذه الأماكن مع أسماء الأماكن التي ورد ذكرها في شعر المجنون والتي بلغ عددها حوالى الأربعين والتي تقع في نجد أو في الأماكن المجاورة لها كجُنيبَة قرب ضرِيّة يقول المجنون:

وبالجزع من أعلى الجنيبةِ منزلٌ شجا حَزَنٍ ، صدري به متضايقُ[67]

وقد ذكر ياقوت أن الجُنيْبَة في نجد قرب ضريّة المقر الأصلي لبني عامر[68].

وورد في شعر المجنون ذكر جبل البتيل حين رأى فتى بعد توحشه قيل له إنه آت من نجد فأقبل عليه يسأله عنها وادٍ وادٍ وموضع موضع وهو يبكي ثم أنشأ يقول:

ألا ليت شعري عن عُوارِضَتَيْ قناً لطولِ الليالي هل تغيّرتا بعدي

وهل جارتانا بالبتيل إلى الحِمى على عهدنا أم لم تدُوما على العهدِ

---

[63]- كراتشكوفسكي ص57، نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية، م2 ص311.

[64]- م.ن ص58.

[65]- الأغاني، ج2 ص65.

[66]- كراتشكوفسكي نفسه ص58.

[67]- الأغاني ج2 ص61.

[68]- كراتشكوفسكي ص60 نقلاً عن ياقوت م2 ص134.

وعن عُلوِيّات الرياح إذا جرت بريح الخزامى هل تهبُّ على نجدِ[69]

وذكر المجنون كذلك جبل التوباد، حيث كان هو وليلى يرعيان غنم أهلهما:

وأجهشتُ للتوبادِ حين رأيتُهُ وكبّرَ للرحمن حين رآني

وأذريْتُ دمع العينِ لما عرَفتهُ ونادى باعلى صوته فدعاني

فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ وعهدي بذاك الصّرْم منذ زمان[70]

وقد ذكر ياقوت في معجمه أنه جبلٌ في نجد[71]، وكذلك الجبل الآخر الذي ذكره المجنون والذي يدعى الجوشن[72]، ذكر ياقوت أن في أرض نجد قرب ضريّة جبل يدعى "جوشينه"[73].

نرى أن معظم الأماكن الجغرافية التي ورد ذكرها في شعر المجنون تقع في قلب نجد، أما أسماء الأماكن الأخرى التي وردت فتقع قرب مكة والمدينة وترتبط بسفر الحج الذي قيل إن المجنون قام به برفقة والده.

قيمة شعر المجنون بالنسبة إلى شعر معاصريه:

إذا كان المجنون قد عاش في أواخر القرن السابع الميلادي في بادية الجزيرة العربية، فما هي قيمة الشعر الذي قاله بالنسبة إلى شعر معاصريه في ذلك العصر (أي في العصر الأموي)، وقد بات معروفاً لدى الدراسيين أن شعر الغزل حينذاك انقسم إلى ثلاثة أقسام: التقليدي الذي هو استمرار للغزل القديم المألوف الذي كان يستخدم وسيلة إلى غيره من فنون الشعر والذي كان الجاهليون يبتدئون به

---

[69]– الأغاني ج2 ص23.

[70]– الأغاني ج2 ص53

[71]– كراتشكوفسكي ص60 نقلاً عن ياقوت ج1 ص888.

[72]– الأغاني نفسه ص57.

[73]– كراتشكوفسكي، نفسه، نقلاً عن ياقوت ج2 ص156.

قصائدهم، والثاني غزل الإباحيين الذين سماهم طه حسين "المحققين"[74]. وهم الذين كانوا يتغنون الحب ولذاته العملية، وزعيم هؤلاء عمر بن أبي ربيعه، والثالث غزل العذريين الذين كانوا يتغنون في شعرهم هذا الحب الأفلاطوني العفيف كجميل وعروة وقيس بن ذريح والمجنون. وقد وُجِدَ نوعا الغزل الإباحي والعذري في الحجاز وما يليه. كان الشعراء المحققون يعيشون في مكة والمدينة والعذريون في بادية الحجاز أو نجد. والمحققون في معظمهم من أبناء المهاجرين والأنصار والمتصلين بهم، والعذريون من القبائل الأعرابية التي لم يكن لها عظيم شان في الإسلام، وإنما ظلت محتفظة احتفاظاً شديداً ببداوتها القديمة وعاداتها الجاهلية الموروثة...

لقد أقصيَ أبناء المهاجرين والأنصار عن الدور السياسي بعد أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام، ولكنّ أيديهم امتلأت بأموال الفيّء وأعطيات الخلفاء لإبعادهم عن العمل السياسي، وبهذا اجتمع اليأس مع الفراغ والثروة والغنى فنتج عن ذلك كله اللهو والإسراف فيه والعكوف عليه...

أما في بادية الحجاز وما يليها فقد أنتج اليأس مع الفقر الزهد وما يشبه التصوّف. أهل مكة كانوا يائسين ولكنهم كانوا أغنياء فلهوا كما يلهو كل يائس[75] ، وأهل البادية كانوا يائسين ولكنهم كانوا فقراء، فلم يتح لهم اللهو، وقد تأثروا بالإسلام وبالقرآن، ونشأ في نفوسهم شيء من التقوى مع شيء من السذاجة البدوية والرقة الإسلامية فانكبوا على أنفسهم، واستخلصوا منها نغمة لا تخلو من حزن ولكنها نغمة زهد، وانصرفوا إلى شيء من المَثلِ الأعلى في الحياة الخلقيّة، وظهر هذا الزهد في مظهرين: أحدهما الزهد الديني الخالص، وآخر هذا الغزل العفيف الذي هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة، ولبراءتها من ألوان الفساد التي كانت تغمر أهل

---

[74]– طه حسين، حديث الأربعاء، دار الكتاب اللبناني، 1973، م1، ص191.

[75]– نفسه ص194.

مكة والمدينة من جهة أخرى... يضاف إلى ذلك أن المغنّين كانوا يتخذون أشعار الإباحيين وأشعار العذريين موضوعاً للّحن والغناء.

ينتسب شعر المجنون إلى العشق الأفلاطوني، ومعاصروه الذين كانوا في البداية أكثر شهرة منه أضحوا في ما بعد أسرى شهرته... حتى ولو لم يكن المجنون شخصيته تاريخية، فإن أشعاره قد راجت في محيط الأعراب في قلب الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي: فما هي الظروف التي أنتجت قصة ليلى والمجنون في ذلك العصر، بحيث أن قصة حبّهما طمست قصص الحبّ الأخرى؟ ولماذا نسبت إلى المجنون. – كما يقول النقاد العرب السابقون– أشعار تفوق بكثير ما قاله هو؟.

المضمون الأوّلي لقصة المجنون:

لقد رسم كتاب الأغاني جيداً بعض عناصر القصة، واستطاع أن يجمع كل ما كان متوافراً من معلومات عنها حتى عصره– أي منتصف القرن العاشر الميلادي–. هنالك روايتان حول بداية ذلك الحب، الأولى: إن المجنون كان يهوي ليلى بنت المهدي... بن عامر بن صعصعة، وهما حينئذ صبيّان يرعيان مواشي أهلهما، فلم يزالا كذلك حتى كبُرا فحُجبت عنه، ويدل على ذلك قوله:

تعلقت ليلى وهي ذاتُ ذؤابةٍ ولم يبدَ للأتراب من ثديها حجم

صغيرَيْن نرعى البَهْمَ يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبَر ولم تكبر البَهمُ[76]

وتقول الرواية كذلك إن المجنون وليلى كانا وهما صبيّان يرعيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحّش كان يجئ إلى ذلك الجبل فيقيم به فإذا تذكر أيام كان يُطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش، فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا ثاب إليه

[76]– الأغاني ج2 ص11.

عقله رأى بلداً لا يعرفه، فيسأل الناس الذين يلقاهم: أين التوبادُ من أرض بني عامر؟... ويظل يبحث عنه فإذا رآه قال في ذلك:

وأجهشت للتوباد حين رأيتُه وكبّرَ للرحمن حين رآني

وأذريتُ دمعَ العين لما عرفتهُ ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلتُ له قد كان حولك جيرةٌ وعهدي بذاك الصرم منذ زمانِ [77].

هذه الرواية ليست هي الرواية الوحيدة التي تحكي قصة حب ليلى والمجنون وإنما هنالك رواية أخرى، وصلتنا بأشكال مختلفة، يظهر فيها المجنون نسخةً من امرئ القيس أو عمر بن أبي ربيعه، تقول الرواية إنّ سبب عشق المجنون ليلى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلّتان من حلل الملوك، فمرّ بامرأة من قومه وعندها جماعة نسوة يتحدّثن، فيهنّ ليلى، فأعجبهنّ جماله وكماله فدعونه إلى النزول والحديث، فنزل وجعل يحدثهن، وأمر عبداً له كان معه فعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتىً عليه بُرْدَةٌ من بُرَدِ الأعراب، فلما رأيْنَه أقبلن عليه وتركن المجنون، فغضب وخرج من عندهن، وقال في ذلك شعراً... وفي اليوم التالي ركب ناقة له أخرى ومضى متعرضاً لهنّ، فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها مع صويحباتها وقد علق حبّه بقلبها وهَوِيَتْه... وأرادت أن تعلم إن كان لها عنده مثل ماله عندها، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعةً بعد ساعة وتحدّثُ غيره لتثير غَيْرته ثم أنشأت تقول:

كلانا مظهرٌ للناسِ بُغضاً وكلٌ عند صاحبه مكينُ

تبلغنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثمَّ هوىً دفينُ

---

[77]- نفسه ص52-53.

فلما سمع البيتين شهَقَ شهقةً شديدةً وأغميَ عليه، فمكث على ذلك ساعةً، ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق، وتمكن حبّ كلّ واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلّ مبلغ[78]...

إن التدقيق في هذه الرواية يفقدها قيمتها، لأنها لا تتناسب من قريب أو بعيد مع شخصية المجنون ولا مع سيرته...

هنالك روايتان أيضاً تعكسان الجانب الأدبي (الموضوع) من القصة: أولاهما أن قيس سئل قبل أن يجنّ: ما أعجبُ شيء أصابك في وجدك بليلى؟ قال: طرَقنا ذات ليلة أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أدْمٌ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى لأطلب منه أدماً... وتكتمل الرواية بأن يطلب أبو ليلى من ابنته أن تملأ له إناءه من السّمن فجعلت تصبُّ السّمن وهما يتحدثان حتى امتلأ الوعاء وفاض حتى غطىّ أرجلهما[79] ومرةً ثانيةً جاءهم يطلب ناراً وهو متلفع ببردٍ له، فأعطته جمرةً في عُطبةٍ (خرقة تؤخذ بها النار)، ووقفا يتحدثان حتى احترقت العُطبةُ، فخرق من بُرده خِرقةً أخرى، وكلما احترقت خرق غيرها وأذكى بها النار حتى لم يبق عليه من البُردِ إلا ما يوري به عورته وهو لا يعقل ما يصنع[80]...

ما يجب أن يقال هنا، إن هذا الشعرَ الجميل الجيّد المنسوب إلى المجنون والذي ذكرنا منه نماذج من قبل، أجمل بكثير وأرقى من القصص التي نُسجت حوله، لذلك لا يسعنا إلا أن نقول إن القصص وضعت بناءً على الشعر وليس العكس، فبينا تجد في هذه الأشعار كما يقول طه حسين- عن الغزل العذري بعامة- صدق اللهجة وحرارة العاطفة وحدّة الشعور، لا تجد في الأخبار التي تروى حول هذا الشعر إلا تكلفاً وتصنعاً وإسرافاً في المبالغة ينتهي إلى السخف... إن هذه الحوادث الفاترة لا يمكن أن تلهم شعراً جيداً حاراً، بل "إن هذا الشعر قد صدر صدوراً طبيعياً عن قومٍ كانوا يشعرون ويألمون،

---

[78]- نفسه ص12و 14و 29و 44و 46.

[79]- نفسه ص31-32.

[80]- نفسه ص32.

ويصنعون آلامهم ويمثلون شعورهم، وأن هذه القصص قد أنشئت في ما بعد، أنشأها رواة هادئون لم يكونوا يجدون في أنفسهم ما كان يجد هؤلاء الشعراء من لوعةٍ وأسى، ومن ألم وحسرة على آمالٍ يطمعون فيها، ويطمحون إليها دون أن يظفروا منها بشيء"[81] .

أما تتمة قصة المجنون فتقول إن أبا المجنون وأمه وعشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى وناشدوه الله والرحم أن يزوجها له ولكنه رفض[82]، وزوجها رجلاً آخر من قبيلته يدعى ورد بن محمد العُقيلي[83] وفي رواية أخرى رجلاً من ثقيف كان قد رآها في موسم الحج[84].

لكنّ المجنون بعد أن حُجبت عنه ليلى، استمر في رؤيتها فشكاه أهلها إلى السلطان الذي أحلّ دمه، و لم يمنعه ذلك من رؤية ليلى فاضطرت عشيرتها إلى الارتحال[85].

طه حسين شكّك في الرواية التي تقول إن السلطان أهدر دم قيس قائلاً "أكان الخلفاء فرغوا من أعمالهم العامة المختلفة لهؤلاء العشاق يهدرون دمهم حيناً، ثم يعصمونه حيناً آخر؟"[86].

أليس من الممكن أن يكون المقصود بالسلطان هنا ليس الخليفة نفسه وإنما أحد عماله، أو واليه على المدينة؟

المهم أنّ جنون قيس قد زاد بعد ارتحال عشيرة ليلى، فنصح الحيّ لأبيه أن يحجّ به إلى مكة ويأمره أن يتعلق بأستار الكعبة فيسألَ الله أن يُعافيه مما به ويبغّضها إليه، فحجّ به أبوه ولما صاروا بمِنى سمع صائحاً في الليل يصيح يا ليلى، فوقع مغشياً عليه، ولما أفاق أنشأ يقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ من منىً فهيّج أطراب الفؤاد وما يدري

---

[81]- حديث الأربعاء م.س ص201.

[82]- الأغاني. م.ن ص21و40و41و88

[83]- نفسه ص14 وص21.

[84]- نفسه ص47و48و51و56و57.

[85]- نفسه ص26و27.

[86]- حديث الأربعاء م.س ص184.

دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

دعا باسم ليلى ضللَ الله سعيَهُ وليلى بأرضٍ عنه نازحةٍ قفرِ

ثم قال له أبوه: تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حبّ ليلى، فتعلق بأستار الكعبة وقال: اللهم زدني لليلى حباً وبها كلفا ولا تُنسِني ذكرها أبداً... وقيل إنه هام بعد ذلك في البرية مع الوحش يأكل البقول مثلها، ويشرب من مناهلها[87] ... وكانت الظباء تذكّره بليلى، ورُوي عنه قوله إنه رأى ظبياً مرة، ذكّره بليلى، فازداد في عينيه حسناً، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه فتبعه حتى خفيا عنه، فوجد الذئب قد صرعه وأكل بعضه، فرماه بسهم فما اخطأ مقتله، وبقر بطنه فاخرج ما أكل منه ثم جمع إلى بقية شلوه ودفنه وأحرق الذئب وقال في ذلك:

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فياظبيُ كلْ رغداً هنيئاً ولا تخف فإنك لي جارٌ ولا ترهبِ الدّهرا[88] ...

وكان يشتري الظباء من الصيّادين ويحرَرها من وثاقها:

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني لكِ اليوم من وحشيةٍ لصديقُ

ويا شبه ليلى لو تلبثتِ ساعةً لعلّ فؤادي من جواه يفيقُ

تفرّ وقد أطلقتها من وَثاقها فأنتِ لليلى لو عَلمتِ طليقُ[89]

في مرحلة التوحش هذه يلتقي بابن عبد الرحمن بن عوف[90] الذي ولاه الخليفة على الصدقات، فيعجب به ويطلب إليه أن يرافقه، وفي رواية أخرى أن المجنون هو الذي طلب إليه ذلك، وفي السنة

---

[87]- الأغاني، نفسه، ص21-22.

[88]- نفسه ص74.

[89]- نفسه ص81.

الثانية سعى نوفل بن مساحق على الصدقات بعد عبد الرحمن بن عوف... وانه رأى المجنون هائماً على وجهه لا يعقل شيئاً، فسأل عنه وعرف قصته وذهب يخطب له ليلى فرفض أهلها طلبه[91].

ظهور هذين الشخصين في الرواية- وكنا قد ذكرنا من قبل صحة وجودهما التاريخي- تجعلنا نطمئن إلى تاريخية الرواية وارتباطها بواقع العصر.

أما نهاية القصة فقد وردت على لسان شيخ من بني مرة[92]- القبيلة المجاورة لقبيلة بني عامر- هذه الرواية من أجمل مقتطفات الروايات القديمة، وليس عبثاً أن ينقلها مؤرخ كالمسعودي[93]، وبعد ذلك رينان[94]، وأن يقول عنها طه حسين على الرغم من عدم تصديق رواية المجنون كلها إنها جيدة:

ذكر المرّي أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون، فدلوه على محلته فأتاها فإذا أبوه شيخٌ كبيرٌ واخوة له رجال... فسألهم عنه فاستعبروا جميعاً، وقال الشيخ: والله لهو كان آثَرَ في نفسي من هؤلاء واحبهم إليّ! وإنه هوى امرأة من قومه، فلما فشا أمرهُ وأمرُها، كره أبوها أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره، فذهب عقل ابني ولحقهُ خبلٌ وهام في الفيافي وجداً عليها... فسألهم المرّي أن يدلوه عليه فدلوه على فتى من الحيّ كان صديقاً له فقالوا: إنه لا يأنس إلا به ولا يأخذ أشعاره عنه غيرُه،... ذهب المرّي إلى الفتى وسأله أن يدله عليه، فقال: إن كنت تريد شعره فكلّ شعرٍ قاله إلى أمس عندي، وأنا ذاهبٌ إليه غدا فإن كان قال شيئاً أتيتك به، فقال له المرّي: بل أريد أن تدلني عليه لآتيه، فقال لي: إنه إن نَفَرَ منك نفر مني، فيذهبُ شعره، فأبيت إلا أن يدلني عليه، فقال: أطلبه في هذه الصحارى، فإذا رأيته فادنُ منه مستأنساً... وانشده شعراً غَزَلاً... ويتابع المرّي فيقول: إنه خرج في

---

[90]- م. ن ص16.

[91]- م.ن ص18.

[92]- نفسه ص 88، ويمكن مقارنة ما جاء في هذه الرواية بما ورد في الكتاب نفسه ص15.

[93]- المسعودي، مروج الذهب، م7 ص355-360.

[94]- كراتشكوفسكي ص76 نقلاً عن رينان .Mélanges d histoire et de voyages, paris 1878, page 270-273

طلبه فوجده جالساً على رمل قد خطّ فيه بإصبعه خطوطاً، فدنا منه فنفر نفورَ الوحش من الإنس، وتناول حجراً، فاعرض عنه، ولما استكان أقبل عليه وقال له، أحسن والله قيسُ بن ذريح حيث قال:

ألا يا غراب البين ويحك نبني بعلمك في لبنى وأنت خبيرٌ

فإن أنت لم تخبر بشيء علمته فلا طرت إلا والجناح كسيرُ

ودُرت بأعداء حبيبك فيهمُ كما قد تراني بالحبيب أدورُ

فأقبل قيس وهو يبكي فقال: أحسَنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول:

كأنَّ القلب ليلةَ قيلَ يُغدى بليلى العامرّيةِ أو يُراحُ

قطاةٌ عزّها شركٌ فباتت تجاذبه وقد عَلق الجَناحُ

فأمسكت عنه هُنيهة، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسَنَ والله قيسُ بن ذريح حيث يقول:

وإني لمغن دمعَ عيني بالبكا حِذاراً لما قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراقُ حبيبٍ لم يَبن وهو بائنُ

وما كنتُ أخشى أن تكون منيّتي بكفّيْكِ إلا أنّ من حان حائنُ

قال المرى: فبكى- والله- حتى ظننت أنّ نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعَه قد بلتِ الرملَ الذي بين يديه، ثم قال: أحسنَ لعَمرُ الله، وأنا والله أشعر منه حيث أقول:

وأدنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولِ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطح

تناءيْتِ عني حين لا ليَ حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

ثم سنحت له ظبية فوثب يعدو خلفها، ويتابع المرّى روايته أنه عاد في اليوم التالي، يطلبه فلم يجده، وجاءت امرأة كانت تضع له طعاماً إلى الطعام فوجدته بحاله، ولما كان اليوم الثالث جاء أهله فطلبوه

طيلة اليوم فلم يجدوه إلى أن كان اليوم الرابع، فوجدوه في وادٍ خشنٍ ، وهو ميّت بين تلك الحجارة، فاحتمله أهله، فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

وتنتهي الرواية بأنه لم يبق فتاة من بني عامر لم تندبه وأنّ فتيان الحيّ بكوه جميعاً أحرّ بكاء، وحضرهم حيّ ليلى معزين وأبوها معهم، فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاءً عليه، ندماً على ما فعله به"[95].

هذه القصة المتداولة تناقلها رواة متعددون، وليس في رواياتهم كبير اختلاف عدا المقتطفات الشعرية التي رويت على لسان المجنون أو على لسان قيس بن ذريح...

مع مرور الزمان على وضع القصة يتضح لنا سبب ورود اسم قيس بن ذريح- وهو أحد الشعراء العذريين الثلاثة الكبار- في هذا السياق. من هنا وُضعت قصة رؤية المجنون لابن ذريح وطلبه إليه أن يوصل سلامه إلى ليلى[96] ، وكذلك قصة الرجل المرّي الذي وصل إلى نجد في بغية له فالتقى بليلى صدفة، فسألته عن قيس وحدّثها بحديثه[97] : يجب أن نشير إلى نقطة مهمة وهي الاختلاف الفاضح بين أول الرواية المذكورة آنفاً ونهايتها. لأنه يتبين لنا من خلال شعر المجنون أنّ والده قد توفي قبل اختلاط عقله[98]، في حين أن الجزء الأخير من هذه الرواية يذكر أن جميع أفراد القبيلة قد حزنوا عليه وندبوه وأن حيّ ليلى، أبوها معهم قد خرجوا معزّين وكان أشدهم جزعاً عليه والد ليلى[99] . هذا القسم من القصة لا يحظى بتاريخ واضح.

---

[95]- نفسه ص89-90.

[96]- نفسه ص94.

[97]- نفسه ص86-87.

[98]- نفسه ص5 وص70 وص71.

[99]- نفسه ص90 وص91 وص92.

الجدير بالاهتمام أيضاً، أنه نادراً ما تمكنا من رؤية التطابق والانسجام بين الحوادث الفرعية في الرواية وبين أشعار المجنون التي نُسبت إليه في ما بعد، والشبيهة أسلوباً بالشعر الجاهلي كتلك الأبيات التي يتكلم فيها على منافسه مُنازل[100]، والمقطوعة التي يهجو فيها الرجل الذي خطب ليلى[101]، أو تلك التي رثا فيها والده[102]... هنالك حوادث وتفاصيل لا تتناسب مع العشق الأفلاطوني الذي نبحث عنه لدى المجنون، ومن بينها رواية رؤية المجنون لليلى ليلاً حين كان زوجها وأبوها في الحج[103]. وكذلك الحوار الذي جرى بينه وبين زوجها[104] والذي يتناقض مع مفهوم الحبّ الأفلاطوني، وبخاصة تلك الأبيات التي ذكِرَ أن المجنون قالها لإغاظة زوج ليلى.

إن الزوائد والإضافات على قصة المجنون والتي تتناقض مع شخصيته الحقيقية المُفترَضة، يمكن أن تفسّر على النحو التالي: إنه قد وجد بين الإعراب عدة أشخاص اشتهروا بلقب المجنون، واختلطت قصصهم بقصة مجنون بني عامر، فتوسعت القصة وتشعّبت، وأضيفت إليها عناصر جديدة كمرض ليلى في العراق[105] أو خبر موت قيس بين يديْ صديقيه الحميمين، وقصة العجوز التي سعت بين المجنون وليلى[106]، أو قصة المرأة من بني هلال التي سعت للغرض نفسه[107]، أو ذهاب المجنون إلى بابل ليتطبّب[108]، وحواره مع الطبيبين[109]، أو سير المجنون مع ابن عمه زياد بن مزاحم- كما ورد في

---

[100]- نفسه ص13.

[101]- نفسه ص14 وص15.

[102]- نفسه ص70

[103]- نفسه ص24 وص25.

[104]- نفسه ص75.

[105]- الوالبي: ديوان مجنون ليلى، بومباى 1310ق هـ6.

[106]- نفسه ص50.

[107]- ابن سراج ص421-422.

[108]- الوالبي، ص7 وص8.

[109]- نفسه ص31.

الأغاني– ورفق هذا الأخير به[110]، والذي صار اسمه في كتاب الوالبي "يزيد"، الشخص الذي طرد المجنون أولاً ثم أصبح المدافع عنه، لكنه يموت بصورة غير منتظرة[111]، أو الرسائل المتبادلة بين المجنون وليلى[112]، أو قصة لقاء المجنون بشاب قرب "بئر ميمون"، أخذها الوالبي من الأغاني[113]، وأضاف إليها أشعاراً كثيرة على لسان المجنون في وصف الآبار[114]...

الواقع أن النواة الأساسية لشعر المجنون التي تعود إلى أواخر القرن السابع الميلادي، قد أصابها التحريف والتزيد الذي أصاب غيرها من الأخبار والحكايا بسبب عبث الرواة، فهذه الأخبار كانت تتناقل شفاهاً من غير تدوين في أول الأمر، وذلك يجعل الدقة في الرواية أمراً بعيد المنال. فضلاً عن أن مادة الأخبار فيها شيء من الغرابة والطرافة، وقلّ أن يسلم الخبر الطريف أو الغريب من فعل الخيال وتزيده. وقد أدرك ابن قتيبة هذه الأمر، فذكر "أن الناس نحلوه (المجنون) شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره، وضرب لذلك الأمثلة[115]، أما الوشاء فيدّعي أن جميل سرق أشعار المجنون[116]، إضافة إلى التشابه في الحوادث بين حياة المجنون وحياة جميل والقول إن أحد الأمراء حللّ دم جميل[117]، وبين أشعار المجنون وأشعار قيس بن ذريح وقد كانا متعاصرين والتشابه في اسميهما واسمي ليلى ولبنى يسهل عملية نحل شعر أحدهما للآخر، أو على الأقل نحل شعر قيس بن ذريح للمجنون... فليس من الصعوبة أن يحل اسم ليلى محل اسم لبنى. النتيجة التي يمكن أن نستخلصها من كل ما سبق: بصورة افتراضية: أن شاعراً لقب بالمجنون كان يعيش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي في إحدى بوادي جزيرة العرب،

---

[110]– الأغاني ج2 ص51.

[111]– الوالبي ص36 و37.

[112]– نفسه ص39 و40.

[113]– الأغاني ج2 ص23.

[114]– الوالبي ص12.

[115]– الشعر والشعراء ص22.

[116]– كراتشكوفسكي ص105 نقلاً عن الوشاء ص60.

[117]–م.ن ص. ن.

وكان شعره يعبّر عن الحب الأفلاطوني، الذي كان سائداً بين الأعراب في ذلك الحين. لقد قصرَ شعره على ليلى ولليلى. وقد أبدت المحافل الأموية في الشام اهتماماً بمثل هذه التوجهات والميول والقصص التي تصور العشاق المتخيلين، وكان ذلك وراء المحاولات الأولى لضبط أشعار المجنون وتدوين أحواله. حدث بعد ذلك نوع من العداوة الشديدة بين القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية في الجزيرة على إثر الفتوحات، أدّت إلى أن يجعل الرواة شخصية المجنون في الضفة المقابلة لشخصيات شعراء قبيلة بني عذرة إحدى القبائل الجنوبية. في النصف الأول من القرن التاسع بدأت القصص المتعلقة بحياة المجنون الناتجة عن شرح بعض القصائد المنسوبة إليه تتضخم، وانضمت إليها بسرعة قصائد موضوعة أو قالها شعراء آخرون. وفي بداية القرن العاشر اشتهرت بعض الروايات المدّونة التي تحكي قصة المجنون وليلى، ولا شك أن ذلك كان تلبية لرغبة البلاط العباسي الذي كان يميل إلى هذا النوع من الروايات، كذلك إلى حاجة المغنين إلى هذا النوع من الشعر للغناء. وفي منتصف القرن العاشر دوّن الأصفهاني في كتاب "الأغاني" أخبار المجنون وليلى.

وهذا ما يسّر للباحثين تحديد الرواية الأولى للقصة. بعد هذه الرواية المشروحة والمفصلة لقصة المجنون وليلى، لم يظهر أي شرح للقصة باللغة العربية سوى كتاب الوالبي، بعد ذلك جرت الإضافات على أشعار المجنون، ووصلت هذه الإضافات أحياناً إلى حجم غير عادي.

ليلى والمجنون للحكيم النظامي الكَنجوي:

في القرن السادس الهجري قام الشاعر الحكيم النظامي الكَنجوي[118]، بنظم قصة ليلى والمجنون شعراً في منظومة بلغت أكثر من أربعة آلاف بيت، وفي هذه المنظومة إشارة إلى المصدر الذي أخذ عنه

[118]– اسمه الياس ولقبه "نظامى" (وهو تخلص للشاعر بحسب اصطلاح شعراء الفارسية، فإنهم يكنون عن أنفسهم في أشعارهم باسم غير الاسم الخاص بهم). والكَنجوي نسبة إلى كَنجه القديمة، والتي بنتها القبائل التركية على ضفاف النهر المعروف بـــ "كَن جا" أي النهر الواسع، وقد

القصة: (راجع) فهو يقول في مقدمة القصيدة التي يتحدث فيها عن معرفة المجنون بخبر زواج ليلى: إن الراوي الحكيم البغدادي أخبرنا بسرّ الكلام، وربما كان يقصد الوالبي، لأنه قد تبين لنا من خلال قراءة المنظومة الفارسية، أن النظامي، يعتمد على الديوان الذي جمعه الوالبي أكثر من اعتماده على الأغاني أو أي مصدر آخر.

عناصر القصة في منظومة النظامي:(عناوين القصائد).

1- المقدمة:

يتحدث فيها النظامي على لسان الراوي أنه قال إن رجلاً من سادة بني عامر في جزيرة العرب، على الرغم من الجاه والمال كان يتحسر على ولد يخلفه ويُبقي ذكره، وقد استجاب الله عز وجل بعد لأيّ لتضرعاته وأدعيته ورزقه صبياً كالقمر حسنا وجمالاً، سماه قيساً، وسعى إلى تعليمه وتثقيفه وفي العاشرة من عمره أرسله إلى الكتاب، مع آخرين صبيان وبنات من قبائل متفرقة، ومن بين هؤلاء ليلى الأجمل والأكمل...

ظلت هذه المدينة عامرة حتى القرن الحادي عشر الميلادي، أما مدينة كَنجة الحالية فقد بناها الشاه عباس الصفوي في العام 1010م (ولد النظامي بين عامي 533و540هـ وتوفي بين عامي 600و602هـ.

ومقبرة نظامي من الآثار التي تزار في مدينة كَنجة الحالية.

كتب النظامي هي: 1- "مخزن الأسرار" يشتمل على 2260 بيتا على البحر السريع .

2- "خسرو شيرين" يشتمل على 6500 بيت على بحر الهزج المسدّس المقصور.

3- "ليلى والمجنون" أكثر من أربعة آلاف بيت.

4- "التماثيل السبعة".

5- "اسكندر نامه" أو "كتاب الاسكندر" في جزأين، الأول من 6800 بيت والثاني 3800 بيت.

2- عشق ليلى والمجنون إحدهما للآخر:

عَشِقَ قيس اليوسفيّ الجمال، ليلى التي كانت تنافسه حسناً وجمالاً، وتناقلت الألسنة حديث الحبّ هذا، فحُجبت ليلى عن قيس، فاختلط عقله، وأفلت زمامه من يده، واستحكم جنونه، حزناً على الحبيب البعيد، وترك أهله وديارة وهام في الفلوات...

3- في وصف عشق المجنون:

4- ذهاب المجنون لرؤية ليلى: ووصف حالتيهما في هذا اللقاء...

5- ذهاب والد المجنون لخطبة ليلى:

ولأن الأب حزن من أجل ابنه الوحيد، ولأنه نصحه و لم ينتصح، ذهب في رهط من قومه لخطبة ليلى، وقد تجمع قوم والد ليلى في دياره، وعرض على والد ليلى أن يعطيه ابنته لابنه، وعرض عليه مهراً كبيراً... لكن والد ليلى قال إن قيساً عرّض بابنته وماذا سيقول العرب عنه إن زوجها له... وأنهى الكلام هنا رافضاً أيّ نقاش...

6- ألم المجنون من حبّ ليلى:

سماع المجنون لنصائِح الأهل يزيده ألماً، فيمزق ثيابه لأن الميت لا تحييه الأكفان، وقد أصابه ما أصاب وامق في حب عذرا، وأخذ يسوح في الجبال وفي الصحارى، فلقبه الناس بالمجنون ولاموه وشنعوا عليه. وهو في الصحراء لا يلوي على شيء يخاطب النجم اليماني ويحمله سلامه إلى ليلى، لقد بكى عليه كل من رآه، فلا هو بالميت ولا هو بالحي. كلامه ينضح ألماً ودعاؤه يفتت الأكباد، يبحث عن الحب فلا يجده وعن الراحة وأنّى له أن يستريح، ويتساءل: إن كان قد اقترف جريمة لأنه أحب، ولكنه حبّ وجنون لا رجعة فيهما...

7- اصطحاب والد المجنون ابنه إلى الكعبة:

حين رفرفت راية عشق المجنون على العالم بأسره، واحتلت ليلى مكان الشمس والقمر في السماء، وأمعن قيس جنوناً، قرّر والده بناء لنصيحة أهله أن يصطحبه إلى الكعبة. فجهز الوالد نفسه، وبجهد جهيد أقنع ابنه أن يرافقه، وفي ظل البيت الحرام طلب إليه أن يتمسك بأستار الكعبة ويدعو الله أن يوفقه إلى ما فيه صلاحه، وان يرحمه ويحرّره من بلاء العشق. وحين سمع المجنون حديث العشق بكى ثم ضحك وأخذ يدور حول الكعبة ويقول: يقولون لي تخلص من العشق، هذا ليس طريق المعرفة، أنا أستمد قوتي من قوة العشق، إذا مات حبي فأنا ميت لا محالة، لقد رسم العشق مصيري، وما نفع القلب الخالي من الحب... يا رب بعزتك وجلالك وكمالك أوصلني من العشق إلى كماله وان يبقى حيّاً فيّ طالما أنا حي، ونوّرْ قلبي من نبع الحبّ، وإذا كنت ثملاً من شراب العشق، فزدني سكراً يقولون أنزع الحبّ من قلبك وأطرد ليلى من قلبك. فيا رب زدني لليلى حباً، وأضف من عمري إلى عمرها عمراً، وإن أصبحتُ كالشعرة من كثرة الهم، فلا أريد أن تفقد هي شعرة واحدة من رأسها. لا تفرغ كأسي من خمرتها ولا إسمي من وسمها، واجعل روحي فداء جمالها.. وإن احترقت كالشمعة من حبّها، فلا تجعل عيشي فارغاً من غمّها[119]...

حين سمع أبوه منه هذا الكلام صمت وتيّقن أنّ قلب ابنه أسير حبه، وأن ألمه لا دواء له، وحين عاد إلى دياره أخبر أهله وعشيرته بما قاله قيس وأعلن لهم يأسه من شفائه...

8- اطلاع والد المجنون على ما عزم عليه أهل ليلى:

حين وصل هذا الكلام إلى أسماع الناس، استغله أصحاب النوايا السيئة، وسجنت ليلى نفسها في منزلها كي لا تسمع ما يتقوّله المتقوّلون، وذهب بعض أفراد قبيلتها إلى السلطان، واخبروه أن شاباً يتجوّل في

[119]- ليلى والمجنون. كراتشكوفسكي. ص14.

ديارنا، مرة يرقص ومرة يقبّل الأرض، جميل الغزلِ وجميل الغناء، هو يقول والناس يحفظون ويردّدون ما يقول، وليلى من نفيره متألمة، كالريح لا بد من أن تطفئ المصباح... سحب الوالي سيفه وقال إن هذا دواؤه. أحد العامريّين سمع هذه القصة وأخبر بها والد المجنون وأهله، أرسلوا في طلبه فلم يعثروا عليه، فظنوا أنه قد فارق الحياة، ولكن رجلاً من بني سعد، عثر عليه وهو على آخر رمق، وحين علم الوالد المسكين بالأمر أسرع إليه...

حين رأى قيس والده عاد إليه وعيه، فزحف حتى جثا عند قدميه يلثمها ويقول: "اعذرني يا أبي ويا تاج رأسي ليس بيدي ما أنا فيه... أنا خجلٌ ما كنت أريدك أن تراني وأنا في هذه الحال... لكن يا أبي نحن لا نتحكم بمصائرنا"[120] .

9- نصح الوالد للمجنون

حين رأى والد قيس ابنه على تلك الحال رقّ قلبه ولكنه أخذ ينصحه ويبين له حاله، وكيف كان وكيف أصبح، ونصحه بالصبر والسلوان،وأن الوالي قد أهدر دمه... وعليه أن ينسى من لم تعد تذكره، فليعُدْ إلى أهله وقومه ليحموه من سيف السلطان...

10- جواب المجنون لأبيه

لا يستطيع أن يفعل ما يأمره به أبوه، هو ليس عاقاً ولكنّ الأمر ليس بيده... فما أصابه لم يصب أحداً من الخلق... تمكن الأب من إعادة ابنه إلى المنزل، لكن لمدة أيام، عاد بعدها وتشرد في

[120]- م. ن. ص149.

الفلوات، وكان الخلق يتجمعون حوله يحفظون ما يقول، ويروونه حتى انتشر شعره في الآفاق، وغنّى العشاق نغماته...

11- وصف أحوال ليلى

جمالها... حبها للمجنون... خوفها من الأقاويل... وفاؤها لقيس... بلاغتها وفصاحتها... تعرض الناس لها بألسنتهم زوراً وبهتاناً.

12- في وصف الربيع، ونزهة ليلى في بستان النخيل

بعد وصف الربيع وجماله، ليلى تصف حبها لقيس. وتسمع من بعيد شخصاً يغني قصيدة لقيس، يصف فيها عشقه لليلى ويقارن بين حاله وحالها... تبكي ليلى ألماً وحسرة... وبعد عودتها إلى منزلها تحكي لأمها ما وقع لها...

13- ابن سلام يطلب يد ليلى:

14- تعرف نوفل إلى المجنون

حبه له وتعاطفه معه وسعيه لتزويجه بليلى.

15- مقاتلة نوفل لقبيلة ليلى:

هنا النظامي يجعل نوفل يقاتل قبيلة ليلى من أجل المجنون.

16- معاتبة المجنون لنوفل.

17- استعداد نوفل للحرب مرة أخرى.

18- تحرير المجنون للغزال من شبكة الصياد.

19- تحرير المجنون للظبية من شبكة الصياد.

20- مخاطبة المجنون للغراب.

21- اصطحاب المرأة العجوز المجنونَ إلى مضارب ليلى، ومخاطبته لها.

22- زواج ليلى بابن سلام.

23- معرفة المجنون بزواج ليلى.

24- شكوى المجنون لخيال ليلى.

25- ملاقاة أب المجنون لابنه.

26- ردّ المجنون على أبيه.

27- توديع الأب لابنه وشعوره بقرب أجله.

28- معرفة المجنون بوفاة أبيه.

29- وصف حال المجنون مع الوحوش.

30- وصف الليل ومناجاة المجنون للحق تعالى.

31- وصول رسالة ليلى إلى المجنون.

32- قراءة المجنون لرسالة ليلى.

33- قراءة ليلى لرسالة المجنون.

34- وصول سليم العامري- خال المجنون- لرؤيته.

35- معرفة المجنون بخبر وفاة أمه.

36- رسول ليلى إلى المجنون.

37- قراءة المجنون شعراً غزلياً أمام ليلى.

38- مجيء سلام البغدادي لرؤية المجنون.

39- وفاة ابن سلام زوج ليلى.

40- وصول ليلى والمجنون إلى بعضهما.

41- وصف الخريف ووفاة ليلى.

42- معرفة المجنون بوفاة ليلى.

43- مجيء سلام البغدادي لرؤية المجنون مرة أخرى.

هنالك حتماً فروقات بارزة بين القصة العربية "مجنون ليلى" والمنظومة الفارسية "ليلى والمجنون" يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

1) الفروقات الشكلية:

- يبلغ عدد الأبيات في منظومة النظامي- كما ذكرنا من قبل- أكثر من أربعة آلاف بيت، في حين أن جميع الأبيات في ديوان المجنون الذي جمعه أبو بكر الوالبي والذي يكاد يكون في معظمه أشعاراً منسوبة إلى المجنون لا يزيد عن الألف. وقد بدأ اقتباس الشعراء الإيرانيين من منظومة النظامي وتقليدهم لها بعد مدة زمنية قصيرة من وفاة النظامي، وصدرت منظومات باسم "ليلى والمجنون" لعبد الرحمن الجامي و"المجنون وليلى" لأمير خسرو دهلوي، و"ليلى والمجنون" لعبد الله هاتفي ابن أخت الجامي.

ولكن لم يظهر في اللغة العربية حتى القرن التاسع عشر أي أثر نثري أو شعري مقتبساً من ديوان المجنون أو مقلداً له، ففي العامين 1885و1894 عُرضت مسرحيتان مقتبستان من قصة "مجنون ليلى" في مدينة الإسكندرية في مصر[121]، وكان أحمد شوقي قد نشر من قبل مسرحية مقتبسة من قصة مجنون ليلى بأسلوب جديد وفني، مع شخصيات أكثر معاصرة، ثم أعاد في العام 1932م

[121]- محمد غنيمي هلال، الحياة العاطفية بين الصوفية والعذرية، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة 1976 ص97.

نشر المسرحية نفسها بعد تصحيحها وإعادة النظر فيها، وقد تمكن شوقي أن يعيد الحياة بعمله الفني إلى هذه القصة العربية المنسبة. لكن قيس في مسرحية شوقي يجمع القيسين معاً: قيس بن ذريح وقيس بن الملوح.

– المناظر والصور والأمكنة في "ليلى والمجنون" للنظامي لا تشبه من قريب أو بعيد ما جاء في قصة المجنون في الأغاني أو في الديوان الذي جمعه الوالبي، فقد استطاع النظامي بذوقه الفني وقدرته الإبداعية أن يصور الأماكن التي جرت فيها القصة حيّة ناطقة، بحيث يشعر القارئ أنه يرافق أبطال القصة في حلّهم وترحالهم، وكنموذج على ذلك، مساعدة المجنون للظّبي ليتحرر من شبكة الصياد، وردت في القصة العربية في بضعة أبيات:

أبا شبه ليلى لا تُراعي فإنني لك اليومَ من وحشيةٍ لصَديقُ

وبا شبه ليلى لو تلبّثتِ ساعة لعلّ فؤادي من جواه يفيقُ[122]

تفرّ وقد أطلقتها من وثاقِها فأنتِ لليلى لو علمتِ طليقُ

في حين أنها بلغت في منظومة النظامي حوالي مئة بيت، منها قول النظامي:

– نحو تلك الطريدة تقدم المجنون كوالد ملهوف على فلذة كبدة يمرّر بحنوّ كفّه على رأسه كما يفعل المحبّون، مضمداً ما يراه من جراحاته نافضاً عن جسده التراب من الرأس حتى القدمين والدموع تنهمر من مآقيه يناجيه قائلاً: أيها البعيد عن أليفك، أنت مثلي قد هجرك الحبيب

هيا انطلق يا فارس الصحراء، يا نزيل المراعي والجبال الخضراء

رائحتك تذكرني برائحة حبيبتي وعينيك تشبه عينيها

فلتنزع القيود عن قوائمك، فمكانك في كنف الحبيب

---

[122]– الأغاني ج ح ص82.

ولنشرح صدرك، ويشرئب عنقك، ويبرد صدرك الملتهب

اعلم انك في هذا الحصن الحصين، تصلك أخبار القمر سجّانك

إن رعيتَ في تلك الديار، اخبره عن أحوال قلبي

فأنا أسيرٌ في يد الأعداء، وحالتي لا تسرّ حبيباً

أنت عني بعيد وأنا أيضاً بعيد عنك، أنا أتألم وأنت كذلك

وهو يفك القيود عن قوائم الظبيّ، ثم قبله بين عينيه وأطلقه[123]

– كما أن النظامي أضاف أمكنة جديدة إلى الأمكنة المذكورة في النصوص العربية، فقد ورد في منظومة النظامي أن ليلى ذهبت تتنزه في أحد البساتين حيث تعرفت إلى أم المجنون.

2) الفروقات المعنوية:

فضلاً عن الفروقات الشكلية التي أشرنا إليها من قبل، لا بد من القول، إن هنالك فروقات معنوية بين القصة العربية وبين منظومة النظامي الشعرية، حيث النفس الشاعري الرفيع المستوى، والترابط بين معاني الأبيات على الرغم من طول القصائد، والوحدة العضوية بين أجزاء القصة، في حين أن الديوان المنسوب إلى المجنون فيه الكثير من التشتت وعدم الانسجام المنطقي. كذلك فإن الأمر الآخر البيّن هو سيطرة روح الثقافة والأدب الفارسيين، وخصوصيات البيئة المتحضرة، فسلوك أبطال القصة وشخصياتها، لا يشبه من قريب أو بعيد سلوك الأعراب الذين عاشوا وترعرعوا في البادية، بعيداً من التعلم والتربية المدنية، ونذكر نموذجاً الحِكَمَ التي أوردها النظامي على لسان والد المجنون حين رأى ابنه في الصحراء في حالة يُرثى لها، فقد سعى الوالد كمعلم عاقل حنون أن يعلم أنّ ابنه عمر ابن آدم وحياته لحظاتٌ سريعة الانقضاء، فيجب استسهال الصعاب، واعتبار الحياة غنيمة تستحق أن تُعاش

[123]– نظامي، ليلى ومجنون، انتشارات دانش، موسكو 1965، ص241–243

ويُسعد بها[124]، في حين أن ما ورد على لسان الأب في الروايات المتعلقة بحياة المجنون أو في الديوان المنسوب إليه لا يعدو الحكم البسيطة التي تعبرّ عن قيم المجتمع الصحراوي البدوي كقول الأب:إن سلوك الابن مصدر حجل الأبوين، وتحقير لشأن القبيلة، وأحياناً يتألم من أجله، ويذرف الدموع أسىً، أحياناً يطلب إلى حجاج بيت الله الحرام أن يدعوا له ليعود إليه رشده[125] .

يقول النظامي في هذا السياق:

من كلٍ مثلٍ كان يرويه له، تنضحُ حكمةٌ أبويةٌ نصوح

أيا روح أبيك ليس هذا وقت الأحلام، فالأيام كفرسَيّ رهان يتسابقان

من هذا الطريق الحادة أشواكه، أهرب، فالمصلحة في الهرب

فالسهم الذي يطلقه دولاب الزمن لا يرحم، يريق دمك علانية...

في أوان الركض اركضْ، وَصَلتْ إلى مكانٍ معين أم لم تصل...

ليس من الحكمة أن تتألم، ما الفائدة من تحمّل الآلام؟...

ضجّت الأيام من توحشك، يومٌ، اثنان، ثلاثة: تعقّل، هيا تعقل...

اصبر، واثبت، وتحمّل، ولا تخدعنّ نفسك بالأوهام...

أنت إنسان متديّن شريف، فلماذا تصاحب الوحوش؟...

إن أنت أفلتّ عنان الزمان الليلةَ ، لن تجده إن طلبته غداً...

أنا من أجل سعادتك كتبت هذه الأوراق، فلتشمل، لأنني أنا قد انتهيت

ولتعش في أمان، فأنا ماضٍ ، وليصبْني الهمّ وتبقى أنت سعيداً[126]

---

[124]– ليلى ومجنون م. س. ص290–296 وكراتشكوفسكي ص231–239.

[125]– ديوان المجنون ص8 و10.

[126]– ليلى والمجنون م.س. أبيات مقتطفة من الصفحات 231–239

– إن أحد أبرز الفوارق بين معاني القصة العربية والمنظومة الفارسية هو مفهوم الحب ومعناه، فالحبُّ في شعر المجنون هو ذلك الحب العذري، والعاشق عفيف، كل ما يملكه من لدن المحبوب، والسعادة بمثل هذا الحبّ نوع من العروج الروحي، واللغة التي تعبّر عنه راقية مصفاة متحررة من ألفاظ العشق الإباحي وتعابيره، ومع ذلك لم يصل الحبّ العذري مطلقاً إلى تلك الدرجة من الرفعة والسموّ بحيث يمكن أن يتوحد العاشقان... إن بعض الأبيات التي جاءت في المصادر العربية على لسان المجنون من أبدع ما جاء به الشعر العربي في الحب لكنها لم تصل إلى مرحلة التوحد بين العاشق والمعشوق كما في منظومة الكَنجوي يقول المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا[127]

ويقول:

وإني لمجنون بليلى موكلٌ ولستُ عزوفاً عن هواها ولا جلدا

إذا ذُكرت ليلى بكيتُ صبابةً لتذكارها حتى يَبُلّ البكا الخدّا[128]

ويقول:

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لِيَ الليلُ هزتني إليك المضاجعُ

أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهمّ بالليلِ جامعُ

لقد ثبتت في القلبِ منكِ محبةٌ كما ثبتت في الرّاحتين الأصابعُ[129]

ويقول:

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من منىً فهيّج أحزانَ الفؤادِ وما يدري

---

[127]– الأغاني ج2 ص36 وص54.

[128]– نفسه ص37

[129]– نفسه ص45.

دعا باسم ليلى غيرَها فكأنّما أطار بليلى طائراً كان في صدري[130]

ويقول:

أعدّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أعُدّ الليالیا

أراني إذا صليتُ يمّمتُ نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وما بيَ إشراكٌ ولكنّ حبّها كعود الشجا أعيا الطبيبَ المداويا

أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها وأشبَهَهُ أو كان منه مُدانيا...

برانيَ شوقٌ لو برضوى لهدّه ولو بثبيرٍ صارَ رمساً وسافيا[131]

إنه لحبٌ عفيف صادق، مؤثر...

لكنّ العشق في منظومة الكَنجوي، حبّ من نوعٍ آخر، إنه حبّ عرفانيّ توحدّ فيه العاشق والمعشوق، يقول النظامي على لسان المجنون:

وأنا معك، فارقتني ذاتي، سأتابع هذا الطريق بلا ذاتي

إنّ هذا العشق الذي ينوّر القلب على هذا النحو، ينوّر في مذهب العشق الدنيا بما فيها[132].

وبما أنّ حبك قد تملكني، لم أعد محتاجاً إلى وجهك[133] .

ويقول النظامي في مكان آخر: إنّ خلاصة وجود العاشق كامنة في العشق:

– إنّ الحبّ هو خلاصة وجودي، فالعشق نارٌ ملتهبةٌ وأنا كالعود فيها

أقبلَ الحبّ وحاصرت نارُه المنزل، وأنا بسطت فراشي في وسطه

---

[130]– الأغاني ج2 ص55.

[131]– نفسه ص68.

[132]– ليلى ومجنون ص273.

[133]– نفسه ص274.

بوجودي المحسوس هذا، لست أنا الموجود، إنما الحبيب هو الموجود

من الآن وصاعداً، أنا وأنت، أنا هو أنت، قلبٌ واحدٌ لشخصين

وذلك القلب هو قلبك، فقلبك معافى، أما قلبي فخراب[134].

– جسد مَنْ هذا الذي داخل مقامه سطّروا اسمه على قالبك؟

ما من مكان يمكن البحث فيه عن صحيفة أعمالي، فهي ليست معي إنها معك[135].

وفي النهاية يقول النظامي حول وصول ليلى والمجنون إلى بعضهما:

"كانت تلك الواقعة الدائمة الاضطرام مصدر تعجب الناسِ كلهم

فذلك العشق حقيقةٌ وليس عرضاً لم تدنسه الشهوة ولا الغرض

إنه ليس عشقاً سطحياً عابراً إنه عشقٌ نادرٌ وعبرةٌ لمن اعتبر[136].

ويقول المجنون لليلى:

كغريقٍ يصرخ طالباً النجدة، حين يلقاها، لا يبقى للكلام من فائدة

أنتِ هِبتي في هذا الطريق، وأنا فقيدك في هذه البئر

حسنٌ أن ليس لي وجودٌ بوجودك، فهذه يدك وليست يدي

من أكون أنا؟ وما هو الاسم الذي يُنادونني به؟ أأنا شيءٌ غيرُ ظلك؟

هنا، لم يَعُدُ من وجودٍ للأنا وللأنت، فليس في مذهبنا ثنائيّة

نحن فلقيْ هلال واحد، روحٌ انشطرت إلى نصفين، الواحد منا نصفٌ من واحد

لست أنا من أكون معك، أنا اسمُ خيالٍ ملتصقٍ بك

---

[134]– نفسه ص413.

[135]– نفسه ص414.

[136]– نفسه ص488–498.

لأنني أنا أنت، فما هما هذان الجسدان؟ ولأنّ الاثنين واحدٌ فلمَ التحقيق؟

الهيكلان اثنان، لكنّ البنيانَ واحدٌ، كما تصبح اللام مع الألف "لا"

الهنالك هو أنا، والآخر رسمي، والهُنا هو أنت والآخر غبارك[137].

– النظامي نفسه أحبّ حبّاً كبيراً زوجته الأولى "آفاق" التي لم تعش طويلاً، نَظمَ قصة "خسرو وشيرين" في مرحلة حبّه لها، ولم ينْهِ هذه القصة، إلا وآفاق قد فارقت الحياة، ونحسّ ونحن نقرأ "خسرو وشيرين" بصدق العاطفة، وكأنّ الشاعر يعبّر عن تجربته هو في حبّه الوحيد والخالد، وكأنما لهذا السبب نفسه زوّجَ النظامي ليلى والمجنون، ثم عاد وأماتها، وحين نقرأ وصفه لموتها، نحسّ أنه يرثي عزيزاً وأنّ هذه الليلى هي ليلاه، أو "آفاقه" كما أسماها في أثناء رثائه لشيرين، وقد كانت حديثة الموت، حيث يقول:

فلتأخذنّ من هذه القصة عبرةً

وليذهبْ بك الظنّ بعيداً وأنت تقرأها

فذرفُ الدموع شرطٌ من شروط قراءتها

ونثرُ ماء الورد المضمخّ بالأسى، على قبر شيرين.

فحياتها كانت قصيرة كومضة

وردة اقتلعتها الرياح في عزّ الصّبا

وجهها كان جميلاً كوجه معشوقتي المعبودة

حتى ليخيّلُ إليَّ أنها هي "آفاقي"

الجميلة الفاتنة المرحة[138]...

---

[137]– ليلى والمجنون. م.س. ص497–498. الهنالك (الذي هنا) والهُنا (التي هنا)

حين ألف النظامي خسرو وشيرين كان يعيش قصة حبّه لآفاق، ولكنه فقدها قبيل إكمال القصة، كما فقد زوجته الثانية في أثناء نظمه لليلى والمجنون، لكنّ حبّه الأول، الذي كان قد اجتاز مرحلة الفقد الجسدي، وظل نابضاً فيه بلغ من السموّ مبلغاً عظيماً، جعل صاحبه يرتفع به إلى مرتبة الحبّ العرفاني...

قصة ليلى والمجنون للنظامي، نموذج من التأثر والتأثير المتبادلين بين الأدب العربي والأدب الفارسي، وصورة من نتاج كبار الشعراء من ذوي اللسانين الذين كانت العربية وتراثها جزءاً لا يتجرأ من ثقافتهم العامة.

---

[138]– انظر: مقدمة "خمسة حكيم نظامي" ج1 ص:ح، مقدمة قصة: "خسرو وشيرين" عبد محمد آيتي: نشر شركة سهامى 1997م.

المصادر والمراجع:

العربية:

1-ابن قتيبه الدينوري، الشعر والشعراء، دار الثقافة بيروت 1964.

2-ابن النديم، الفهرست، مطبعة الرحمانية، مصر 1348هـ. ق.

3-أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة 1927-1935.

4-الجاحظ:

- البيان والتبيين، تـ.عبد السلام هرون، مكتبة الخانجي. مصر 1380هـ/1960م.
- الحيوان، تـ . عبد السلام هرون، مكتبة البابي الحلبي، مصر 1357هـ. ق.
- رسائل الجاحظ، تـ. عبد السلام هرون، مكتبة الخانجي، مصر 1384هـ 1964م.

5-شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دار العلم للملايين، بيروت 1379ه.

6-طه حسين، حديث الأربعاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

7-محمد غنيمي هلال، الحياة العاطفية بين الصوفية والعذرية، دار نهضة مصر- للطبع والنشر، القاهرة 1976.

الفارسية:

- تاريخ أدبيات إيران دكتر دبيح الله صفا (ج2، ط6، ابن سينا. طهران 1973.
- ليلى ومجنون نظامى كَنجوى، انتشارات دانش، موسكو 1965.
- ليلى ومجنون نظامى، كراتشكوفسكى، ترجمة، دكتر كامل أحمد نجاد، انتشارات زوّار 1373ش (1994م).

مجنون لیلی در أبیات عرب ولیلی ومجنون نظامی کَنجوی

بی تردید آوازه لیلی ومجنون در شرق أز شهرتی که "رومیو وجولییت" أثر جاودانه "شکسبیر" در غرب دارد بیشتر است، ندای "یا لیل!" که برشماری آوازها وترانه ها سایه افکنده است وطنینش هرشب در همه کشورها ی عربی شنیده می شود، تنها به معنی لغوی کلمه "یا لیل" اشاره نداشته بلکه یاد آور "لیلی" – معشوق همیشه جاوید مجنون – نیز باشد[139].

نظامی در آذربایجان ونوایی در آسیای مرکزی نخستین منظومه های بلند لیلی ومجنون را یرداختند. ارتباط این دو أثر بامنابع عربی از دیر باز روشن بوده.

منابع اصلی داستان لیلی ومجنون:

بخش عمده مواد این داستان بیش از نیمه دوّم قرن دهم آمده، واساساً همین بخش نیز هست که مایه تکامل بعدی داستان شده است. منبع اساسی داستان لیلی ومجنون در درجه اول کتابهای تاریخ ادبیات است که از آن میان یابد از کتاب "الشعر والشعراء" از ابن قتیبة (در کَذشته به سال 276هـ)، وکتاب "الأغاني" از ابو فرج اصفهانی (وفاب یافته به سال 356هـ). أما ابو الفرج اصفهانی در حد وسیعی به این داستان یرداخته ومؤلفان وراویان مختلف را نام برده، ودرمتمایز کردن مآخذ مدون وشفاهی دقت کرده است، به کَونه ای که

[139]– ا.ا. کراتشکوفسکي. لیلی ومجنون، ترجمه: دکتر کامل احمد نجاد، انتشارات زوار، طهران 1373ش (1994م)، ص 24.

اکَر اثر اصفهانی نبود، ما نمی توانستیم در باره تاریخ لیلی ومجنون بیش از قرن دهم- اکَرجه به طور نسبی- رأی قاطعی بدهیم[140]

شخصیت مجنون در منابع عربی

أبو أیوب مدنی که در تاریخ آوازه خوانان شهرت داست، می کَوید: از مردی بنی عامری پرسیدند: آیا در میان شما مجنونی را که جان در راه عشق باخت می شناسند؟ کَفت: این سخن[141] باطلی است، عشق تنها این یمنیهای سست دل را می کشد. عوانه بن حَکَم کَلْبی- دانشمندی که در میانه قرن هشتم می زیسته- با اطمینان می کَوید: "مجنون اسمی مستعار وخالی از حقیقت است ودرمیان بنی عامر هیچ اصل ونسبی به این نام نمی رسد. از او می پرسند: پس این اشعار که سروده است؟ می کَوید: جوانی از بنی امیه". هشام بن کلبی مؤرخ مشهور- که در سالهای آخر قرن هشتم واوایل قرن نهم می زیسته- نیز، این نظر را پزیرفته وآمیخته، با احتیاط کَفته است: "می کَویند: جوانی أموی عاشق دختر عم خود بود، ونمی خواست که این راز آشکار شود، از این رو داستان مجنون را ساخت وشعرها یی سرود که مردم آنهارا از مجنون می یندارند وبه او نسبتشان می دهند".[142]

اصمعی لغوی مشهور که در اوایل قرن نهم زیسته می کَوید: "دومرد ند که جز نام جیزی از آنان شناخته نیست، وهردو ساخته ذهن راویان اند: مجنون بنی عامر وابن القِرّیه"[143]

---

[140]- همان ص 28

[141]- الاغانی، دار الکتب المصریة (1927-1935) ج2، ص8.

[142]- همان ص 4.

[143]- همان ص 3

جاحظ مؤلف هوشمند اواسط قرن نهم می کَوید: "هر شعری که در باره لیلی سروده شده وکَوینده آن ناشناخته مانده است به مجنون نِسبت داده اند، همان کَونه که اشعار مربوط به لبنی هم به قیس بن ذریح منسوب است"[144]

کمی یس از جاحظ ابن مُعتز- راوی معروف اشعار عرب- می بینیم که نظری همانند نظر جاحظ ابراز می دارد ومی کَوید: "عوام نادان هر شعری را که در "مُجُون" سروده شده باشد به ابو نواس، وهر شعری را که یاد لیلی در آن باشد به مجنون نسبت دهند".

أنچه کَذشت مجموعة آرای عمده ای بود که در باره دوره آغازین پیدایش داستان مجنون بیان شده است. این آراء وجود مجنون ودرستی منظومهای منتسب به اورا مردود می شمارند ولی آرایی که در نفی وجود مجنون آورده شده اند، با اقوالی که در اثبات وجود او می توان یافت تقریباً برابرند ومایه بس شکَفتی است که برخی از آنها در آثار خود آن مؤلفان آمده اند. خود اصمعی که می کًوید "مجنون جون ابن القِرّیّه هرکَز شناخته نشده است"، در حالی که "الاغاني" در قسمتی از کَزیدهای خود کَفته هایی از او نقل می کند[145]، که در آن آمده است که مجنون در حقیقت دیوانه نبود، بلکه مانند "ابو حیّه نُمیری"[146] — شاعر وقهرمان افسانه های مشهور- به نوعی شوریدکَی دجار شده بود. در جای دیکَر هم این موضوع را شرح می دهد ومی کَوید: "این شوریدکًی نتیجه عشقی بود که به یکی از زنان قبیله خود موسوم به لیلی داشت

---

[144]- همان ص 8

[145]- الاغانی ص 2 وص 6 وص 33

[146]- همان، ج15 ص 64-65

ونام واقعی او قیس بن مُعاذ بود"[147]. وبه تفصیل تمام سخن می راند[148] که جکَونه روزی ازیکی از بادیه نشینان بنی عامری در باره مجنون می پرسد، واز یاسخ بادیه نشین برای او روشن می شود که مجنونهای آن طایفه بسیارند، وآنکَاه بادیه نشین ابیاتی از اشعار سه تن از آنان را می خواند، واز خواندن اشعار دیکَر مجنونها خود داری می ورزد ومی کَوید: "برایت بس است! برای خدای سوکَند که هریك از اینان باهمه فرزانکَان امروز شما همسنکًی توانند کرد". اما طبعاً صحت انتساب اشعارش مسلم نیست. او خود در این باره می کَوید: "اشعاری که به او نسیت داده اند به درجات از شعرهای خود او بیشتر است". آنچه از این ملاحظات برمی آید، این است که انتساب این اشعار به مجنون، وجود مجنون را نفی نمی کند واین خود با آنچه بیش از این آورد شد، مغایر است.

همین دوکَانکَی در نوشته های ابن کلبی هم دیده می شود، او در جایی قصه مجنون را یرداخته مردی از بنی امیه می داند، ودر جای دیکَر به روشنی تمام می کَوید که اسم مجنون قیس بن ملوّح بوده، واینکه یدر او بیش از آنکه فرزندش به جنون عشق کَرفتار آید در کَذشته، ومجنون بدین مناسبت در مرکك یدر خویش مرثیه ای سروده است[149].

---

[147]– همان ص 4

[148]– همان ص 6

[149]– الاغانی ج 15 ص5

موضوع دوکَانه این دانشمند را، اندیشمندان دیکَری نیز- که تردیدی در وجود نداشته اند- اتخاذ کرده اند. از جمله ابو عمرو شیبانی[150] (درکَذشته حدود 205- 213 هـــ. ق)، مَدایِنی (م 234 هـــ.ق)[151] .

مبدأ داستان مجنون بعهد امویان بازمی کَردد ودر محافلی نزدیك به دیار دمشق شکل کَرفته است. وهم در جزیره العرب در دوره مورد نظر ما تعدادی از شاعران به "مجنون" ملقب بوده اند.

محتوای نخستین داستان مجنون:

از لیلی ومجنون داستان منظم وبیوسته ای که در دورهای نخستین شکل کَرفته باشد نمی شناسیم. جنین داستانی یا به دست ما نرسیده است، یا أصلاً به این صورت وجود نداشته است.

کتاب "اغانی" برخی از عناصر داستان را به خوبی ترسیم می کند، وبه نظر می رسد که توانسته است همه مطالب اساسی موجود در نیمه قرن دهم میلادی را در بر کَیِرد:

از آغاز آشنایی لیلی ومجنون دو روایت در دست است:

بکی از این دو موضوع بسیار معروف را باز تاب می دهد واز عشق لیلی ومجنون در روزکَار کودکی سخن می کَوید[152] .

---

[150]- همان ج2 ص4

[151]- همان ج2 ص37

[152]- همان ص 11

تعلّقت ليلى وهي ذات ذؤابة و لم يبدُ للأتراب من ثديها حجم

صغيرَين نرعى البهم يا ليت أننا الى اليوم لم نكبر و لم تكبر البَهْمُ

"آن كَاه به ليلى دل بستم كه كَيسوانى بافته داشت، وبرآمدگَى بستانهايش بر همسا لانش يو شيده مانده بود. دو كودك بوديم وبره مى جراندیم، اى كاش تا امروز نه ما بزرك شده بوديم، ونه بره ها"[153].

بايد به اين نكته اشاره كنيم كه اين دو بيت مانند اغلب اشعار مجنون تا سطح ترانه اى متداول رواج بيدا كرده بود[154]. قرينه ديكَرى كه عشق ليلى ومجنون را در زمان كودكى آنان تأييد من كند، شعرى است كه در آن آمده كه جكونه مجنون يس از ديوانكَى سر به جنوب مى رفت، تا اينكه به كوه "توباد" در نجد رسيد، جايى كه در كودكى با ليلى در دامنه هاى آن كَوسفند مى جراندند:

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبّر للرحمن حين رآنى

وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلت له قد كان حولك جيرةٌ وعهدي بذاك الصرم منذ زمانِ...

بايد توجد داشت كه اين روايت تنها روايتى نيست كه از آغاز آشنايى مجنون با ليلى سخن مى راند، روايت ديكَرى نيز هست كه مى كَويد مجنون كه جوان رسيده اى بود، آوازه زيبايى ليلى

---

[153]– ا.ا. كرتشكوفسكى. م. س. ص 69

[154]– الاغانى ج2 ص 12

را شنید، روزی با جامه ای فاخر بیرون شد ولیلی را به همراه تنی چند از دختران جوان نزد زنی از بنی عُقَیل دید... مجنون ماده شتر خودرا برای آنان نحر کرد وبا ایشان به کَفت وکَو نشست... این دیدار روز بعد نیز تکرار شد. همچنین در این روایت می بینیم که جوانی به نام "مُنازل" ناکَهان روی می نماید. لیلی هم مختصر توجهی به او می کند، البته اندکی بعد، لیلی نیز عشق خود به قیس را بر زبان آورد، به دنبال این رویداد، آوازه عشق آن دو بر سر زبانها افتاد... این روایت که در شکلهای کَوناکون به دست مارسیده است[155]، با نظر اندکی، انطباقش با شخصیت مجنون وسرشت کلی او، بعدها ارزش خودرا از دست می دهد.

یس از آنکه یدر ومادر مجنون ازحال فرزندشان آکَاه شدند، لیلی برای او خواستکَاری کردند، اما یدر لیلی تقاضای آنان را- به دلیل آنکه مجنون دخترش را با شعرهای خود رسوا کرده است- نیزیرفت[156]، وجندی نکَذشت که اورا به همسری مردی از قبیلة خود به نام ورد بن محمد عُقیلي[157] یا به روایتی دیکَر مردی از ثقیف- که از قبیله همسایه بود ولیلی را در ایام حج دیده بود- در آورد[158].

أما مجنون یس از آنکه لیلی را به یرده می کشانند نیز ییوسته از دیدار او بهره مند می شده است، عشیره لیلی شکایت به سلطان می برند، ووي ریختن خون مجنون را روا می شمرد.

---

[155]- الاغانی ص 52 وص 53

[156]- همان ص 21 وص 40 وص 41 وص 88

[157]- همان ص 14 وص 15 وص 21

[158]- همان ص47 وص 48 وص 51 وص 56 وص 57

(ممکن است مقصود از سلطان در اینجا، نه خود خلیفه بلکه یکی از کارکَزاران او باشد). جون این کار نیز مانع دیدار مجنون ولیلی نمی شود، عشیره لیلی از آن ناحیه منتقل می کنند[159].

یس از کوج عشیره لیلی، دیوانکَی مجنون بالا کَرفت، خویشان او از یدرش خواستند که اورا به زیارت کعبه برد، وشفای اورا از خداوند بخواهد. آنان به سوی کعبه روان شدند، جون بمنی رسیدند، شنید ند که یکی آواز می دهد: "یا لیلی"! مجنون باشنیدن نام لیلی بی هوش بر زمین افتاد.

وداعٍ دعا اذ نحن بالخیف من منی فهیّج أطراب الفؤاد وما یدري

دعا باسم لیلی غیرها فکأنما أطار بلیلی طائراً کان في صدري

دعا باسم لیلی ضلَّلَ اللهُ سعیه ولیلی بأرضٍ عنه نازحةٍ قفرِ

در کعبه نیز به جای طلب شفا از خدا می خواست که عشق لیلی را در دلش فزونتر کنده[160].

در روزهای دیوانکَی وشوریدکَی- آنکَاه که دست از خوردن وآشامیدن باز داشت، یعنی اندکی بیش از ترك دیار- لیلی اورا در یناه یرده شب دیدار کرد، واین آخرین دیدار او با لیلی بود که به درخواست مادرش انجام کَرفت[161].

---

[159]- همان ص26و27

[160]- همان ص21 و22

[161]- همان ص35 وص 36

یس از کَزاردن حج کار جنون مجنون به نهایت می رسد. قبیلة خودرا ترك می کند وآواره بیابانها می شود[162]، بی خود وشیدا باخاك وسنکَك بازی می کند، وجزبا نام وذکر لیلی به خود باز نمی آید[163] ، باجانوران وحشی- به ویزه با آهوان که لیلی را به یاد او می آوردند، انس می کَیرد، آهوان را از صیادان می خرد وآزاد می کند، وکَرکَهایی را که به آنها حمله می کردند می راند[164]. ومطابق سنّت دیرین عرب بسیاری از اشعاری که در زمانهای مختلف سروده است در خطاب به کبوتران است[165].

اما یایان ما جرای مجنون از زبان ییری از بنی مرّه- قبیله همسایه بنی عامر- نقل می شود[166]، بخش اول این روایت از زیبا ترین بریده های کَزین از روایات قدیم است، وبخش دوم حاکی جکَونکَی مجنون در سنکَلاخی مرده یافتند.

زمان ییدایش داستان مجنون:

از اشارات نخستین جنین می آید که مجنون تا روزکَاری دراز در میان عاشقان رمانتیك کَروه خود شهرت جندانی نداشته است، وبهترین مؤید این مطلب أشعار شاعران همعصر او ودوره یس از اوست. در این شعرها سخن عشق بانام عشاق نامداری که ضرب المثل بوده اند همراه است، ولی نام مجنون در میان نام آنان نیست.

---

[162]- همان ص22

[163]- همان ص17

[164]- همان ص73 وص74 وص81 و82

[165]- همان ص51 و52 و71 و72 وص76

[166]- همان ص88 و90

با نخستین نکَاه به نام معاصران مجنون در می یابیم که تعداد این نامها جندان زیاد نیست، وبه صورت یکنواخت تکرار می شوند. همجنانکه از عشاق نامدار عصر قدیم ییوسته به نام مُرّقش وعبد الله (یا عمرو) بن عَجلان نهدی برمی خوریم، در دوره اموی نیز نامی را جزنام عُروة بن حَزام عُذری نمی یا بیم.

جریر- یکی از بزکَترین شاعران کلاسیك دوره اموی- خطاب به معشوقش می کَوید:

"آیاتو درمان بخش دل سرکَردان می تواني بود، در جایی که بلایی از تو به او رسیده که عروه از عفرا ندیده است"؟

این معنی در شعر جمیل بزرکَترین شاعر عشق عذری آمده است که می کَوید:

"ییش از من آن مرد نَهدی ودوستش مرقّش بر سر عشق جان باختند واندوه دادِ دل از عُروه بستاند، همه اینان کشته عشق بودند، ولی من رنج ودردی فراتر از آنان بردم".

جمیل باهمن احساس در جایی دیکَر می کَوید:

"آنجه می یافتم از عشق، هیج مادری در سوك تنها فرزندش بیافت مرد نهدی هم در عشق هند بدان نرسید وعروه عذری نیز با اینکه در رهش جان باخت، بدان دست نیافت. هیج کسن بیش از من ویس ازمن در عشق به پایه من نرسید ونخواهد رسید"

شعر عربي:

کثیر هم من کَوید:

"آنجه می از عشق او دیدم، عروه از عشق عفرا ندید، وآن مرد نهدی بلایی که می کشیدم نکشید".

این معنی هم در شعر احوص جند بار تکرار شده است...

این نمونه هایی که اورده ایم نشان می دهد که مجنون در روزکار امویان شهرتی نداشته ومقام نخستین را در میان نام آوران عشق عذری عُروه در اختیار داشته است. در اوایل دوره عباسی هم وضع به همین منوال بوده، وبا اینکه شمار عاشقان برجسته به سرعت رو به فزونی بوده است، جون کَذشته نام مجنون در میان آنان دیده نمی شود. هم مروان ابن أبی حفصه (در کَذشته به سال 181هـ) وهم عباس بن احنف (در کَذشته به سال 198هـ) بارها نام بزرکترین شاعران عشق این دوره را آورده اند، یا نام معشوقه انها، اما از مجنون یا لیلی محبوب مجنون نامی درمیان نیست.[167] در دیوان "الحماسه" ابو تمام (درکَذشته به سال 2312هـ/846م)، ودر "طبقات الشعرا" ی جُمحی (درکَذشته به سال 231هـ)، با اینکه فصلهای به بحث در باره جمیل وکثیّر ونُصَیْب واحوص اختصاص داده، ذکری از مجنون نیست.

اکَر ما بخش عمده شعر مجنون را متعلق به دوره اموی بدانیم، کَمنامی مجنون را نه تنها تا نیمه دوّم قرن نهم، بلکه یا یان آن نیز تنها بدین صورت می توان توجیه کرد که شهرت او درمیان شاعران این طریق کمتر از دیکَران بوده است. به ویزه اینکه داستان لیلی ومجنون تا آن زمان، هیج شهرتی نداشته است.

---

[167]– ا.ا. کرتشکوفسکی همو، ص86و87

بدین ترتیب به تدریج وبی واسطه با زمان شکل کَیری نهایی قصه رو برو می شویم. در این زمینه در کتاب "الاغانی" شواهد مهمی یافت می شود. در دوره اموی داستان مجنون در این مطالب خلاصه می شده است: یك جوان عاشق اموی بوده که افسانه لیلی ومجنون را به تمامی ساخته وخود در قالب مجنون محور آن شده است. این احتمال نیز هست که توجه محافل اموی ووابستکَان آنها به جنین داستانهایی انکَیزه اصلی کَرد آوری ویرداختن آنها بوده. ما بعدها نیز در أدب عرب هیچ اثر مدونی را نمی شناسیم که بداستان لیلی ومجنون در دوره اموی یرداخته باشد. با این همه، منابع مکتوب در کتاب "الاغانی" در بخش مربوط به مجنون فراوان است. مأخذ بسیار معتبر دیکَری که در حال حاضر وجود این اخبار را تأیید می کند کتاب "الفهرست" است. که حدود سال 987م واندکی یس از الاغانی تألیف شده است.

مطالب کتاب "الاغانی" و"الفهرست" تا این حد به ما اجازه می دهند که بکَوییم، اخبار مربوط به مجنون با آغازقرن دهم میلادی شکل خاص به خود کَرفته وتطوّر یافته است. مؤلف "الفهرست" آن کَاه که از افسانه های خرافی عشقِ برخی از انسانها به جنّها، یا به عکس، سخن می کَوید می افزاید: محمد بن اسحق کَفته است که افسانه ها وخرافات درایام خلفای عباس وبه ویزه در عهد "مقتدر" مورد توجه وعلاقه بودند، از این رو نویسند کَان دست به کار ساختن افسانه زدند ودروغهایی سرهم کردند"[168].

می توانیم کَفت که "عهد مقتدر (از سال 295هـ-908م تا 320هـ/932م) داستان لیلی ومجنون شکل نهایی خودرا به دست آورد، ویس از کَذشت بیش از دو قرن از زمان

[168]– ا.ا. کرتشکوفسکی همو، ص93

سروده شدن اشعار مجنون شهرت وانتشار یافت. کَواه دیکَری نیز هست که این نظر را تأیید می کند:

مسعودی مؤرخ مشهور می کَوید که مُستعین خلیفه عباسی (248-251هــ/862-866م) به قصه های کهن عربی وهمچنین داستانهای عشاق آکَاهی داشت وشیفته آنها بود. این مؤرخ برای تأکید برسخن خود داستانی از عروه عذری می آورد وبلا فاصله پس از آن خبری از مجنون نقل می کند[169] .

از این زمان شهرت مجنون در سر زمینهای شرقی خلافت آغاز می شود، واکَرجه هنوز بر رقبای بیشین خود (توبه وکُثیّر، وجمیل، ومؤمل، ومرقش، وعروه)، وجز آنان برتری نمی یابد لیکن همواره با آنان در یك ردیف قرار می کَیرد وهرکَز از قلم نمی افتد.

در فصلهای مختلف کتاب "مصارع العشاق" که ابن سرّاج در قرن دوازدهم تألیف کرده، مجنون پیوسته جای نخست را به خود اختصاص می دهد[170]، ویس از کَذشت یك قرن به برکت وجود شاعری جون نظامی در ادبیات فارسی جهره درخشانی می یابد که هیج رقیبی را یارای برابری با اونیست. مجنون در این دوره در عرصه عشق صوفیانه نیز نقشی نمونه وار پیدامی کند، شاعر صوفی وبزرکَك عرب ابن فارض (متوفی به سال 662هــ /1235م) مجنون لیلی را یکی از عاشقان ذکر کرده است.

---

[169]– کرتشکوفسکی ص97

[170]– همانجا.

روایتی از عینی مؤرخ مشهور (متوفی به سال 855هـ/1451م) در دست است که حکایت از مقام والای می کند، که مجنون به تدریج به آن رسیده است. این روایت که با منابع قدیمتر نیز توافق دارد می کَوید: از قول برخی از عشاق نقل شده است که مجنون را پس از مرك در خواب دیده، واز او پرسیده اند که ای قیس، خداوند باتو چه کرد؟ واو جواب داده است که بخشایش خودرا برمن روا داشت ومرا حجّت عاشقان قرار داد. آن کَاه که روز قیامت فرا رسد، خداوند آنان را حاضر خواهد کرد وخطاب به ایشان خواهد کَفت: ای مدّعیان محبتِ من! این قیس به انسانی همانند خود عاشق شد وکَشت بر او آنچه که نباید. آیا در میان شما کسی هست که ساعتی برد باری نشان دهد درعشق من، آن جنان که او شکیبا بود در عشق خویش؟

جنین است مراحلی که مجنون در طول قرون طی کرده ودر خلال آنها از شخصیتی به کلّی مجهول، به شخصیتی که در عشق مقام نخست را، وارد تکامل یافته ومظهر عشق افلاطونی وصوفیانه شده است.

<u>داستان لیلی ومجنون نظامی</u>:(سر فصلها).

- آغاز داستان.
- عاشق شدن لیلی ومجنون بریکدیکَر .
- در صفت عشق مجنون .
- رفتن مجنون به نظاره لیلی .

- رفتن یدر مجنون به خواستاری لیلی .
- زاری کردن مجنون در عشق لیلی .
- بردن یدر مجنون را به کعبه .
- آکَاهی یدر مجنون از قصد قبیله لیلی .
- یند دادن یدر مجنون را .
- جواب دادن مجنون یدر را .
- کَفتار اندر احوال لیلی .
- در صفت بهار ورفتن لیلی به تماشای نخلستان .
- خواستار ابن سلام لیلی را .
- آشنا شدن نوفل با مجنون .
- جنكَ کردن نوفل با مجنون.
- عتاب کَردن مجنون با نوفل.
- مصاف کردن نوفل بار دوم .
- عتاب کَردن مجنون با نوفل.
- رهانیدن مجنون آهوان را از دام صیاد .
- رهانیدن مجنون کَوزن را از دام صیاد .
- خطاب مجنون با زاغ.
- بردن بیرزن مجنون را به خرکَاه لیلی .

- دادن یدر لیلی را به ابن سلام .
- خبر یافتن مجنون از شوهر کردن لیلی.
- شکایت کردن مجنون با خیال لیلی .
- رفتن یدر مجنون به دیدن یسر .
- جواب دادن مجنون یدر را .
- وداع کردن یدر مجنون را .
- آکَاهی مجنون از وفات یدر.
- صفت حال مجنون با ددکَان.
- صفت شب ونیایش مجنون باحق .
- رسیدن بیغام لیلی به مجنون .
- خواندن مجنون نامه لیلی را .
- خواندن لیلی نامه مجنون را .
- آمدن سلیم عامری- خال مجنون- به دیدن مجنون.
- خبر دار شدن مجنون از وفات مادر.
- بیغام فرستادن لیلی به مجنون.
- غزل خواندن مجنون در حضور لیلی.
- آمدن سلام بغدادی بدیدن مجنون .
- وفات یا فتن ابن سلام شوهر لیلی.

- رسیدن لیلی ومجنون به یکدیکَر .
- صفت خزان ووفات لیلی .
- خیر یا فتن مجنون از وفات لیلی .
- آمدن سلام بغدادی به دیدن مجنون بار دوّم .
- وفات کردن مجنون بر سر قبر لیلی.

مجنون لیلی عربی ولیلی ومجنون نظامی:

ارتباط لیلی ومجنون نظامی با منابع عربی روشن است

ولی تفاوتهای میان متن عربی وسروده بارسی نظامی هست، که آن را می توان به دو بخش ظاهری ومعنوی تقسیم کرد:

1) تفاوتهای ظاهری: شماره ابیات لیلی ومجنون نظامی، بیش از جهار هزار بیت است، در صورتی که همه ابیاتی که در دیوان مجنون، کَرد آورده ابو بکر والبی آمده است به یك هزار بیت هم نمی رسد. شمار جشمکَیری از این ابیات سروده خود مجنون نبوده است.

اقتباس شاعران ایرانی از سروده نظامی وبیروی از آن، با فاصله زمانی کمتری آغاز شد، ودر زمانی نه جند دراز، منظومه هایی به کمك قریحه شعری دیکَر شاعران ایرانی، باهمان نام لیلی ومجنون فراهم آمد: "مجنون ولیلی" امیر خسرو دهلوی، "لیلی ومجنون" عبد الرحمن جامی "ولیلی مجنون" عبد الله هاتفی یسر خواهر جامی، از آن نمونه اند.

ولی در زبان عربی تا قرن 19 میلادی، هیچ نوشته ای که به اقتباس یا پیروی از شعر مجنون به نظم یا به نثر پدید آمده باشد بچشم نمی خورد.

در سالهای: 1885و1894م، دو نمایشنامه از داستان "مجنون لیلی" در شهر اسکندریه مصر، به روی صحنه آمد[171]، بیش از آن امیر الشعرای احمد شوقی در اوایل قرن نوزدهم میلادی، با شیوای نو وهنرمندانه نما یشنامه ای منظوم به اقتباس از داستان "مجنون لیلی" به جاب رسانده بود، وسیس شوقی در سال 1932، همان نما یشنامه را با تصحیح وتجدید نظر، بار دیکَر، منتشر ساخت. شوقی با این کار هنری خویش، به این داستان جانی تازه بخشید.

نظامی تلاش کرده است تا سروده داستانی او از مجموع روایتهای منظوم ومنثور داستان "مجنون لیلی" فراتر نرود، ولی او صحنهای داستان را آنچنان جان دار وکَویا رسم کرده کو خواننده همراه قهرمانان داستان بیش می برد. برای نمونه در باره رها کَشتن آهو از دام صیّاد.

نمونه ای از سخن نظامی:

"مجنون سوی آن شکار دلبند آمد جو بدر به سوی فرزند

مالید بر او جو دوستان دست هر جا که شکسته دید می بست

[171]– ادوار حنين، شوقي على المسرح، بيروت 1937.

سرتا بایش به کف بخارید زو کَرد و ز دیده اشك بارید

کَفت ای ز رفیق خویشتن دور تو نیز جو من ز دوست مهجور

ای بیش رو سیاه صحرا خرکَاه نشین کوه خضرا

بوی تو ز دوست یادکَارم جشم تو نظیر جشم یارم

در سایه جفت باد جایت وز دام کَشاده باد بایت

ای سینه کَشای کَردن افراز در سوخته سینه ای بیرداز

دانم که در این حصار سربست زان ماه حصاریت خبر هست

وقتی که جرا کنی در آن بوم حال دل من کنیش معلوم:

کای مانده به کام دشمنانم جونانکه نخواهی، آنجنانم

تو دور و من از تو نیز هم دور رنجور من و تو نیز رنجور

زین جنس یکی نه بلکه صد بیش می کَفت به حَسب حالت خویش از

ازبای کَوزن بند برداشت جشمش بوسید وکَردش آزاد"[172]

داستان "مجنون لیلی" در زبان عربی، جر بصورت ابیات وتوضیحاتی اندك ویراکنده که بر آن بیتها نوشته شده، در حالی که در سرودهای استاد داستا نسرایی ایران نظامی دیده می شود همراه نبوده است.

کَذشته از تفاوتهای بیشین، کفتنی است که نظامی خود صحنه هایی بر اصل عربی این داستان افزوده است:

در سروده نظامی آمده است که لیلی به تماشای نخلستان می رود، وبا مادر مجنون آشنا می کردد، سلام بغدادی با مجنون دیدار می کند و... هیج یك از این صحنها در دیوان مجنون یا روایات دیکَر ویراکنده از این داستان به جشم نمی خورد.

[172]– لیلی ومجنون: کراتشکوفسکی، ص 198–200

تفاوتهای معنوی:

در لیلی ومجنون نظامی بلندی ورسایی نفس شاعرانه وییوستکَی معنایی میان أبیات وبخشهای به روشنی بیدا است.

منظومه نظامی خالی از استطراد ویراکندکَی که در قصه "مجنون لیلی" عربی دیده می شود. دیکَر آنکه در منظومه نظامی هیج أثری از رفتار کسانی که در بیابان ترتیب یافته، واز آموزش ویرورش شهر نشینی به دور مانده با شند.

برای نمونه اندرزهای حکیمانه ای که نظامی از زبان یدر مجنون یس از یافتن فرزند خود در بیابان با آن حال نزار بر زبان آورده بسیار یربار است. یدر می کوشد که جون آموزکَاری خردمند ومهربان یسررا بیاکَاهاد که: زمانه وزند کَانه آدمی، شتابان در کَذر است، باید سختیهارا آسان یندانشت، دم را غنیمت دانست وخوشی آفرید واز آن لذت برد[173].. ولی در کَزارشهای متنهای عربی بیرامون زندکی مجنون آمده است، یا کَزارش از اندوه بدر، یا این که بدر باوکَفت: "بأستار کعبه آویزان کن تا خداوند از دلبا ختکَی بلیلی سلامت بدهد[174]:

"ازهر مثلی که یاد بودش بندی بدرانه می نمودش

[173]– لیلی ومجنون، کراجکوفسکی، ص150–151

[174]– الاغانی: ج2 ص22 و 23

کای جان بدر نه وقت خوابست کایّام دو اسبه در شتاب است

زین ره که کَیاش تیغ تیز است بکَریز که مصلحت کَریز است

تیری زده جرخ بی مدارا خون ریخته از تو آشکارا

جندانکه دویدنی دویدی جایی نرسیدی و رسیدی

رنجیده شدن نه رای دارد با رنج کشی که بای دارد؟

از توسنی تو بر شد ایّام روزی دو سه، رام شو بیارام

صابر شو و بایدار و بشکیب خود را به دمی دروغ بفریب

خوش باش به عشوه کَرجه باد است بس عاقل کو به عشوه شاد است

تو آدمیی بدین شریفی با غول جرا کنی حریفی!

امشب جو عنان زمن بتابی فردا که طلب کنی نیابی

نزدیك رسید کار میساز با کَردش روزکَار میساز

خوش زی تو که من ورق نوشتم می خور تو که من خراب کَشتم

من می کَذرم تو در امان باش غم کشت مرا تو شادمان باش"[175]

یکی- از بارز ترین تفاوت معنایی میان متن عربی داستان "مجنون لیلی" ومنظومه لیلی ومجنون نظامی، مفهوم عشق وبر معنی آنست.

مفهوم عشق در سرودهای مجنون، همان عشق باك عذری است. عاشق کَرفتار این عشق، باك باخته است، آنچه دارد از آنِ معشوق است. سرکَرم بودن باجنین عشقی، کَونه ای ریاضت وتهذیب روان واحساس عروج روحی است. ولی با این همه، عشق عذری، هیچکَاه بدان پایه از والایی وظرفیت نرسید که بتواند یکَانکَی عاشق ومعشوق را دریابد.

داستان عربی "مجنون لیلی" زمانی به پایان می رسد، که مجنون ولیلی دو شخصیّت جداکَانه ای هستند که آتش عشق در زرفای جان هر دو دلداده زبانه می کشد:

قضاها لغیری وابتلانی بحبها فهلاّ بشيء غيرِ ليلى ابتلانيا[176]

أعدّ الليالي ليلة بعد ليلةٍ وقد عشت دهراً لا أعد اللياليا

أراني اذا صليت يمّمتُ نحوها بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

وما بي اشراك ولكنّ حبّها كعودِ الشجا أعيا الطبيب المداويا

---

[175]- لیلی ومجنون ص 236- 239 (به اختصار)

[176]- الاغانی ج2 ص 68

أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها وأشبهه أو كان منه مدانيا

یا:

"برانيّ شوقٌ لو برضوی لهدّه ولو بثبير صار رمساً وسافيا"

"آنجنان عشقی هستی مرا تراشید که اکَر بکوه رضوی آورده بود آنرا درهم می شکست وخرد می کرد، نیز جنانجه کوه "ثبیر" بدان کَرفتار می آمد، کَوری ویران ودرّاتی برباد رفته، بیش نمی بود.

أما معنی عشق در لیلی ومجنون نظامی، از کَونه ای دیکَر است، عشق عارفانه است، عاشق ومعشوق، یکی کَشته ودوکَانکَی ازمیان برخاسته است، معنی راستین عشق را از زبان نظامی بشنویم:

" با تو خودی من از میان رفت وین راه به بیخودی توان رفت

عشقی که دل این جنین نورزد در مذهب عشق، جو نیرزد"

جون عشق تو در من استوار است با صورت تو مرا جه کار است[177]

نظامی در جای دیکَر می کَوید: وجود عاشق در عشق خلاصه شده است.

"عشق است خلاصه وجودم عشق آتش کَشت و من جو عودم

[177]– لیلی ومجنون کراتشکوفسکی ص 275

عشق آمد و خاص کرد خانه من رخت کشیدم از میانه

یا هستی من که در شمار است من نسیتم آنچه هست، یار است"

"زین بس، تو و من، من تو زین بس یك دل میان ما دو کس بس

وان دل، دل تو جنین صوابست یعنی دل من دلی خرابست"[178]

"تن کیست که اندرین مقامش بر سکه تو زنند نامش

جا نیست جریده در میان جُست وان نیز نه با منست، با توست"[179]

ودر جای دیکَر میکَوید:

می خواند بر او ثنای باکی

کاحسنت زهی حریم خاکی

کز حرمت عشق باکبازت

بر عقل، فریضة شد نمازت

عشقی که ز عصمتش جدایی است

آن عشق نه، شهوت وهوایی است

---

[178]– همان ص 305

[179]– همان ص 310

عشق آینه بلند نور است

شهوت ز حساب عشق دور است

جز تو، همه عاشقان که هستند؟

دور از تو همه غرض برستند

عشق این بود، آن دکَر کَدام است؟

صدق این بود، آن دکَر حرام است

جون عشق بدین تمامی افتد

در سکّه نیك نامی افتد[180]

این بود داستان مجنون لیلی که از شعر غنایی عربی بشعر غنایی فارسی راه یافت، وعذ دار است از شعر که فضیلتهای انسانی وکَرانمایکَی اخلاقی ویاکدامنی به نمای

[180]– همان ص 319

مـــــــــآخذ:

- الاغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة 1963م.

- البيان والتبيين، الجاحظ ، بتصحيح عبد السلام هرون، دار الكتاب العربي، القاهرة 1388هـ /1968م.

- الحيوان، الجاحظ ، عبد السلام هرون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1357ق.

- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة، بيروت 1964.

- الفهرست لابن النديم، مطبعة الرحمانية، مصر 1348هـ.ق.

- تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام، الدكتور شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت 1379هـ.

- ليلى ومجنون نظامى كَنجوى. انتشارات دانش، موسكو 1965

- ليلى ومجنون نظامى. ا. ا. كراجكوفسكى. ترجمة: دكتر كامل احمد نجاد، انتشارات زوار 1373ش (1994م).